اجاثا كريستي

مرمورية

الجثة التي إختفت

قام بعون الله الاستاذان / شريف عبده عبد الرشيد – محمد محمد الجندي مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية .

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال



المتهم

عندما بلغ القطار القادم من "نيويورك" محطة "سان فرانسيسكو" كان هناك ستة على الأقل من كبار مخبري الصحف ينتظرون هبوط رجلين منه ، هتف أحدهم وهو يشير إلى رجلين طويلي القامة قويي البنية يسرعان نحو باب الخروج :

- ها هما !

وانثنى إلى رفيق له فدفع به نحو الباب قائلا :

- هيا .. أعد آلة التصوير .

تبعهما الباقون وهم يتفرسون في أول القادمين وبدأ بعضهم يدون ملاحظاته : يد تشوهها الندوب تشويها فظيعا .. الطول نحو ست أقدام وبوصة .. الوزن يرجح أن يكون حوالي واحد وثمانين كيلو جراما .

ولكن الوصف وقف عند هذا الحد . أهو أسمر أم أشقر ؟ حليق أم ذو شارب؟ فلم تكن العين تتبين ما يعلو منكبيه أكثر من ياقة معطفه وقبعته .

راح الصحفيون يتبادلون النظرات حائرين ، وحاول المصورون أخذ لقطات من مختلف الزوايا فتلفت ألواحهم بدون أن يظفروا بطائل، وكان عسيرا عليهم أن يردوا أنفسهم على الاقتناع بالحقيقة الماثلة أمامهم ، فما رأوا قبل اليوم متهما لا يعلن بكل وسيلة براءته ونقاء صفحته .

وساروا على جانبي الرجلين بخطى حثيثة حتى لا يسبقاهم وهم يسألون المتهم :

- لماذا قتلته ؟ لا .. ليس هذا ما نقصد .. هل قتلته ؟

ومضوا يمطرونه بالأسئلة ويحتالون في حمله على الكلام بدون أن تبدر أية حركة من وراء ذلك المنديل الذي يخفي به وجهه .

فلما يئسوا منه اتجهوا إلى صاحبيه قائلين :

- ما رأيك أيها العمدة ؟

وأجاب العمدة :

– لا فائدة أيها الأصدقاء فلن يتكلم .

وقال أحدهم للمحتقل متملقا :

– هيا يا صاح .. قل شيئا ولو على سبيل الراحة والاستجمام من هذا الصمت المضني الثقيل !

وهم العمدة بالكلام ولكن بصره وقع على اليد القابضة على المنديل فسرت في بدنه رعدة . ألا ما أبشع منظرها ! إنها لا تشبه أيدي الأحياء في شيء؛ فاللحم مشوه جاف تكاد العظام تبدو من تحته .

وقال :

– لقد أنبأتكم أنه لن يتكلم ..

– ما خطبه ؟ هل هو أبله ؟

أجاب العمدة متبرما :

– لا تسألوني؛ فما نطق بحرف خلال رحلتنا من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب .

وأخذ الصحفيون ينظر بعضهم إلى بعض في حيرة وقنوط ، فلما استوقف العمدة إحدى السيارات الأجرة وصعد إليها مع أسيره لم يحاولوا استيقافهما لحظة أخرى .

ولكن محافظ السجن الذي اقتيد إليه المتهم لم يكن أكثر توفيقاً من العمدة ورجال الصحف على كثرة ما حاول إقناعه بالكلام . ولكن هذا كله لم يفت في عضد المحامي الشاب الذي قصد إلى السجن في اليوم التالي طالبا مقابلة السجين ، فقال عندما أخذ إلى زنزانته :

– إنني أدعي "فلمنج" وقد ندبت للدفاع عنك .

وقف الشاب لحظة يتفرس في وجه السجين ولكنه لم يفه بحرف . وعاد المحامي يقول في صوت لين ناعم كصوت الناصح الشفيق :

– إني لا أستطيع أن أفعل من أجلك شيئاً ما لم تتكلم . قل شيئاً أستطيع الاعتماد عليه في الدفاع عنك . إن النائب العام لا يعتقد أنك قتلت الدكتور "تاليوت" فحسب بل يعتقد كذلك أنك كنت تبتز منه نقودا بالتهديد قبل مقتله بعدة أشهر . وإذا كان هذا صحيحا فلا ريب أنك تعرف من أمره ما كان يرهبه ويخشاه . فما السر ؟ لقد كان الدكتور "تاليوت" عضوا محترما في المجتمع لا يعرف عنه الناس إلا ما يوحي بالثقة والاحترام ثم اقترف شيئا جعله يرهبك ويخشاك ، فما هو ؟ ماذا كان يخفي عن الناس ؟ ماذا اقترف؟

كف المحامي الشاب عن الكلام وأخذ يتأمل وجه السجين متفحصاً ثم نهض عن مقعده وقال وقد فقد صوته شيئا من لينه ورقته :

– حسنا . إنك تعرف ما يعنيه قرار المحلفين أنك مذنب ، فمن الخير أن تتروى في أمرك وتتدبر عواقب صمتك .

ظل السجين جامدا كالتمثال وهو يسمع صرير المفتاح في القفل بعد خروج المحامي الشاب ، ووقع قدميه وهو يبتعد في الممشى ، ولكنه لم يأت بحركة بيد أن صدى صوت المحامي كان لا يزال يتردد في خاطره : « كان الدكتور "تاليوت" عضوا محترما في المجتمع لا يعرف عنه الناس إلا ما يوحي بالثقة والاحترام ، ثم اقترف شيئا .. فما هو ؟ ما الذي فعله ؟ ماذا كان يخفي عن الناس ؟ ... »



- 1 -

لم يكن ثمة ما يحمل الدكتور "رتشارد تالبوت" على الابتسام سوى ما يجده في نفسه كل صباح من دواعي الرضا والارتياح، ولقد كان في أكثر الأيام لا يكاد ينظر إلى تلك الدواعي والأسباب ، ولكن الشمس في هذا الصباح قد انسابت إلى الغرفة وغمرتها بفيض من البهجة والإشراق ، فاختلط عسجدها بشعر ابنه "جريجوري" وهو منحن على الطعام ، وانعكس سناها على إبريق القهوة أمام زوجته "لوسي" ، وذكرت الطبيب بما في الحياة من دعة وهناءة لاسيما حياته مع زوجته "لوسي" وولديه "بوني" و"جريج" في هذا البيت الهادئ المطمئن . ومن غير "لوسي" تستطيع مثل هذا الإبداع في تنسيق الأثاث وتصفيف التحف والأزهار والملاءمة بينها وبين غرف البيت في ذوق سليم جميل؟ ونظر "تالبوت" إلى زوجته عبر مائدة الفطور – وقد امتلأ فؤاده فجأة بمشاعر الحب والتقدير – فلمح في شيء من الجزع ما ارتسم على جبينها الناصع من خطوط لا تزال دقيقة خفيفة .

مسكينة "لوسي" ! إنها لتسرف على نفسها في العناية بشؤون البيت وإن كانت قد أحسنت تربية الصغيرين كل الإحسان . وما نزعم أنها جعلت منهما مثلين من أمثلة الطفولة الفذة الخارقة ولكنهما خليقان بأن يعتز بمثلهما الآباء ويباهوا .

إليك "جريجوري" مثلا .. ها هو ذا قد اشتد ساعده وصلب عوده وأخذ يتقدم نحو طور الشباب بخطى حثيثة ثابتة . وهو من خيرة اللاعبين في فرق الرياضة بكليته ، ومن أوائل الطلبة في الدراسة ، وله بين أقرانه كثير من الأصدقاء الذين يصفونه بالمودة والحب لدماثة خلقه وطيب شمائله .

أما "بونيتا" فإن بينها وبين أبيها تفاهما روحيا وثيقا وإن لم يجمل بالأب أن يؤثر أحد أولاده بالقسط الأوفر من عطفه ومحبته .

ولقد كان في الطفلين بعض نواحي النقص والقصور بطبيعة الحال ، فإن "جريج" أقل ضحكا ومرحا مما ينبغي لابن الرابعة عشرة ، أما "بوني" فإنها..

وهنا تنبه "تالبوت" فجاة إلى صوت زوجته وهي تقول :

– لا أدري كيف لا تستطيع "بونيتا" المحافظة على المواعيد ؟ إن "جريج" لم يتأخر قط .

فقال "جريجوري" وهو يغمز بعينه من تحت خصلة متهدلة من الشعر :

– لو رفعتم المرايا من غرفتها لما تأخرت كل هذا التأخير.

قال الطبيب :

– إن "بوني" تنمو وتكبر وتريد ان تكون جميلة ، والجمال في اعتقادي شغل كل فتاة ، تشق على نفسها في سبيله ، وتنفق الساعات الطوال في استكمال اسبابه ، وخليق بنا الا نضيق بفتاتنا إذا ما ذهبت في ذلك مذهب اترابها ولداتها .

وهنا بدت "بونيتا" على رأس السلم ، وكانت تسير حقا في طريق النمو ، رشيقة في غير ضعف ، ذات عينين زرقاوين ، وشفتين ممتلئتين تفيضان بدلائل الحيوية والنشاط . وهبطت الدرجات في خفة ورشاقة وعبرت قاعة الطعام إلى النافذة إذ فتحتها على مصراعيها ووقفت امامها تتنفس نفسا عميقا ، ثم انثنت نحوهم قائلة :

– سعدتم صباحا .. الم يلاحظ احد منكم ؟ إنه الربيع .. وهاهوذا النبت ينبثق من الأرض والطبيعة تدب فيها الحياة .. الا تشعرون بها ؟

فتمتم "جريج" :

– إنني اشعر بتيار لاذع !

وضعت السيدة "تالبوت" طبقا في مكان "بونيتا" من المائدة وقالت في حزم رصين :

– هل لك أن تغلقي النافذة وتجلسي لتناول الفطور يا "بونيتا" ؟

فاذعنت "بونيتا" وهي تتنهد قائلة :

– إن المرء إذا تأخر عن الموعد مرة واحدة في هذا البيت لاهتزت أركان الأرض !!

قالت أمها :

– لا تزمجري يا عزيزتي .

فقال أبوها مهدئا :

أنت جميلة هذا الصباح يا "يوني" .. جميلة جدا .

– لا تفسدها يا "رتشارد" .. إني لأشعر – في الحق – بشيء من الانزعاج؛ إذ احاول دائما أن أضع لهذا البيت نظاما ثابتا فتقلبه "يوني" رأسا على عقب .

فقال الطبيب في لين :

– أي ضير في أن تتأخر بضع دقائق ؟

قالت السيدة "تالبوت" معنفة :

– ليست المسألة مسألة بضع دقائق ،ولكنها تعودت التأخير والعبث بالمواعيد .. لقد كان أبي يحرص على أن أعنى بمثل هذه الأشياء .

قال الدكتور "تالبوت" :

– إن أباك كان .. ولكنه فطن إلى خطئه فاستدرك قائلا : كان رجلا على شيء من الصرامة .

أجابت :

– إن أبي كان رجلا يعول عليه ، وهذا سر نجاحه وسر نجاحك أيضا .

– ولكن "يوني" لا تنوي أن تكون طبيبة يا عزيزتي .

– لابد للمرء من أن يروض نفسه على شيء من النظام ، فإنه إذا تعود الإهمال في التافه من الأمور لم يلبث أن يهمل في الخطير منها .

وأدرك "تالبوت" ما تطلبه منه زوجته ، فالتفت إلى "يوني" قائلا :

– إن أمك على حق ، فاذكري ذلك يا "يوني" .

رفعت "يونيتا" عينيها إلى أبيها فادركت ما يرمي إليه وتكلفت مظاهر التوبة والندم ، ورضيت بذلك السيدة "تالبوت" فانصرفت إلى الإشراف على النظام وإن

لم تغفل عن ذلك قط في اثناء دفاعها عنه ، وما كاد " تالبوت " يتهيأ للقيام عن المائدة حتي كانت تعير القاعة لتعد له قبعته ومعطفه ، وقالت :

– والآن لا تنس .. العودة في الساعة السابعة .. هه ؟

– اجل يا " لوسي " .

وراح يعجب في نفسه من تكرار هذا السؤال كل صباح وما عساه ان يحدث لو أعلن إليها مرة واحدة –مرة واحدة فقط –عزمه على التاخير؟ وعادت تقول :

– إن هذا مهم جدا الليلة بصفة خاصة لاننا مدعوون إلي تناول العشاء عند " آل مورجان " ، اتذكر هذا ؟

– ساكون هنا يا عزيزتي .

كانت يده على مقبض الباب وقد انعكست اشعة الشمس الدافئة من الزجاج على ذراعه فقال :

– إنك ترين يا " لوسي " ان " بوتي " كانت على حق ، إنه يوم بهيج رائع .

قالت بدون اكتراث وهي ترفع قطعة من القطن عالقة بكتفه :

– إنه جميل .

– لا ريب ان الجو الآن بديع بالجبال .

ثم ارتد عن الباب كانما جاءه خاطر فجائي وقال :

– لا إخالك تحبين ان نذهب إلي الكوخ لقضاء عطلة الاسبوع ؟

– ليس في هذا الاسبوع ، فإني ذاهبة مع الطفلين لزيارة أمي .

– حسنا .

ولاشد ما كان " تالبوت " يتمنى احيانا لو تجاوزت زوجته حدود نظامها الحكم الدقيق قليلا ، لماذا لا ياتيان ما بين وقت وآخر امرا لم يتخذان له اهبة ويضعان له خطة ويحددان لفعله موعدا كالاحتفال بقدوم الربيع ؟ إن الازهار لتتفتح الآن في اكمامها حول الكوخ وتوشي الحديقة بالوانها المشرقة الناضرة بدون ان يتملي

جمالها أحد، ولا ريب ان السيدة "تالبوت" احست بما يدور براس زوجها فقالت :

- إني أعلم ان بين يديك كثيرا من الاعمال ولم تبدأ بعد في وضع رسالتك للجمعية الطبية .

- بلى ..

إن "لوسي" لعلى صواب كعهدها دائما ، ولكن "بوني" يسرها بلا ريب ان تذهب إلى الكوخ ، و"جوريج" لابد ان يصيب هناك كذلك كثيرا من اللذة في التجديف وصيد السمك، بل لعل "لوسي" نفسها راغبة في الذهاب ،ولكن واجباتها نحوهما لا تترك لها مجالا للتفكير في رغباتها ومشتهياتها ، بيد أن الامر رغم ذلك يستحق ان يحاول إقناعها .

وقال :

- لقد ظننت يا "لوسي" انني ربما استطعت ..

وهنا قطع عليه كلامه جرس الهاتف فمسحت "لوسي" وجنته بشفتيها وأسرعت لتجيب النداء .

لم يكن في نفس "تالبوت" شيء من الاستياء حين أغلق الباب بعد خروجه وصعد إلى سيارته . إن زوجته وولديه لم يروا قط ذلك الكوخ الذي ابتاعه في العام الماضي من أجلهم، وهو موقن أنهم سيحبذون رأيه لو استطاعوا مشاهدته مرة واحدة، على ان الأمل في ذلك لم ينقطع بعد؛ فلا يزال في الربيع متسع لذلك، ولكن المرء يستطيع مع ذلك أن يستمتع بهذا اليوم الدافئ الجميل بدون أن يبرح "سان فرانسيسكو" . وقد أنزل "تالبوت" غطاء السيارة وانحرف بها عن طريقه العادي إلى الحديقة العامة وأخذ يدور بها في طرقاتها التي تحف بها الأشجار. ونظر في ساعته فإذا بها قد جاوزت التاسعة بثلاث دقائق ، ولكن هذا التأخير الطفيف لا يهم على كل حال .

ولما بلغ العيادة وجد بها أحد المرضى فقال وهو يقوده إلى الغرفة الصغيرة التي

يفضي إليها مكتبه ويشير إلي أريكة بها :

- هنا يا سيد "بيلي" . .

وبعد أن فحصه فحصا دقيقا طويلا عكف علي تدوين ملاحظاته علي حين كان المريض يرتدي ثيابه، ثم راح يقارنها بالملاحظات السابقة عن حالة المريض ، وسرعان ما وضع مذكرته في الملف الخاص به حتي فرغ المريض من ارتداء ثيابه ولحق به إلي المكتب .

وأقبل زميله الأصغر الدكتور "موريان" هاتفا :

- أسعدت صباحا يا "رتشارد" .

فنظر إليه "تالبوت" من وراء مكتبه في استياء؛ فلو تأخر هو أيضا ساعة كاملة بدلا من بضع دقائق لا نصرف هذا المريض مع خطورة حالته . إن زميله يستغل مواظبته علي المواعيد استغلالا لا يبعث علي الارتياح .

وأجاب في تؤدة :

- سعدت صباحا يا دكتور .

ولكن "موريان" لم يتأثر بما في هذا الرد المقتضب من فتور . وقال "تالبوت" مخاطبا المريض :

- أنصح لك يا سيد "بيلي" الا تكلف نفسك أي مجهود جسمي أو فكري في الأيام القلائل المقبلة . وإذا شعرت ببوادر نوبة جديدة فلابد أن تتصل في الحال بالدكتور "موريان" أو بي .



- سأفعل .

وتناول "تالبوت" الملف قائلا :

- إنك تقيم بجمعية الشبان المسيحية ، أليس لك من الأهل أو الأصدقاء من تستطيع الإقامة معهم ؟

فوقف "بيلي" عن العبث بقبعته ونظر إلي الطبيب ثم أطرق قائلا :

- لا أذكر أحدا . لماذا ؟

- إن هذا أدعى إلى الاطمئنان .

ولحظ ما عرا الرجل من الاضطراب فاستدار قائلا :

- أعني أنه من الممكن دائما أن . . .

فقاطعه "بيلي" وقد اختفت دلائل تخاذله واضطرابه :

- إني أفهم ما ترمي إليه . هذه مدينة عظيمة مترامية الأطراف وليس فيها من يعنيه أن يعرف أحي أنا أم ميت ؟!

وابتسم المنكود ابتسامة أثارت في نفس "تالبوت" عاصفة من السخط على تصور الطب وعجزه .

وقال "موريان" :

- اعتن بنفسك يا "بيلي" .

فأومأ المسكين برأسه في استغراب وهو يمر به في طريقه إلى الخارج .

- 2 -

كانت غرفة "تالبوت" هي الغرفة الوحيدة بالعيادة التي ينبعث منها الضوء بعد السادسة والنصف ببضع دقائق . وكانت ضجة المرور تنفذ إليها مبهمة غير واضحة والطبيب عاكف على تنظيم مكتبه وتطهير أدواته كعادته . وقد تأخر عشر دقائق عن موعد انصرافه لكي يعوض تأخيره في الصباح .

طرق سمعه فجأة صرير كابحة سيارة بالشارع وصيحة لهف وفزع ثم صفير حاد من صفارة شرطي المرور ، فهرع إلى النافذة ورأى مزدحما من السيارات والمارة ، وسرعان ما أخذ حقيبته وهبط السلم وثبا .

رأى الشرطي يدون ملاحظات في دفتره وهو يتحدث إلى رجل يرتدي ثياب سائقي السيارات ، وبجانبه فتاة مطروحة على الأرض . وما كاد يلمح "تالبوت"

برادئه الأبيض حتى بادر إلى تفريق المزدحمين لإفساح الطريق له .

جثا الطبيب بجانب الفتاة وأخذ يجس نبضها ويتسمع دقات قلبها ويستوثق من سلامة العظام ثم قال للشرطي :

– يحسن أن تنقلوها إلى عيادتي .

وما كاد الشرطي والسائق يحملان الفتاة ويغيبان بها في العمارة حتى تفرق المحتشدون وهم يشعرون بشيء من مرارة الخيبة لحرمانهم من متعة التسكع والفضول .

ألقيت الفتاة تحت ضوء مصباح قوي وإذ بدأ "تالبوت" يفحصها تبين أن إصابتها لا تتجاوز رضا بساقها ، وهي إصابة خفيفة يستطيع علاجها بنفسه، ولكنها عندما فتحت جفنيها وأجالت بصرها في الغرفة ثم راحت ترنو إليه لم يجد "تالبوت" مناصا من الالتجاء إلى نظارته .

وكانت رائعة فاتنة ، ذات شعر مسترسل ذهبي ، ووجه مشرق جميل ، وعينين زرقاوين ساحرتين . ولاح له أنها مزهوة بجمالها ، عارفة بفتنتها وسحرها ، وأن ثيابها أشد أناقة من كل ما رأى على غيرها من النساء ، ومنظرها يفيض برقة الأنوثة وروعتها .

وقف يرقب عودتها إلى الوعي وقد خيل إليه أنه يقرأ في وجهها سمات الرضا والارتياح ، كما خيل إليه أنه مبعث هذا الشعور وإن لم يدر لذلك سببا.



نظرت الفتاة إلى معصمها فجأة فهتفت :

– أين سواري ؟

أجاب وهو يخرجه من جيبه ويقدمه إليها :

– إنه .. معي .

قالت :

– أميتة أنا أم أوشكت أن أموت ؟

– لا ، بل أغمي عليك فقط .

وراحت تتحسس مفاصلها وهي تقول :

– الم اترك بالشارع شيئا .. ساقا أو ذراعا ؟

– إن بك كدما شديدا فوق الركبة ، ولكن إذا لم تكن ثمة إصابات داخلية ..

فاستوت جالسة على الأريكة وشمرت ثوبها عن ساقيها ونظرت إلى الكدم قائلة :

– اف ! إن منظره ليس بجميل !

– أرجو أن تضطجعي .

ضمد لها الكدم ثم راح يجس اضلاعها في رفق وهو يسالها :

– اتحسين بالم ؟

– لا .

ونقل يديه إلى بطنها وضغط بخفة ، فصاحت :

– ترفق قليلا !

– الا تتحملين الضغط ؟

– بلى ، ولكني افزع من الدغدغة .. أتظنني أعيش ؟

– أجل .. أعتقد أنك ستتعافين مما أصابك .

– لا حاجة بك إذن إلى التجهم والعبوس .

طرق سمعها صوت رجلين خارج الغرفة أحدهما يقول في حدة :

– إنك لا تملك حجزي فقد كان الحادث عارضا لا يد لي فيه كما اخبرك كل من شهده .

قال الرجل الآخر :

– سنرى ماذا تريد هي أن تقول فالزم الهدوء .

– حسنا .. ولكن حذار أن تحاول أن تلصق بي ذنبا لم اقترفه فساوكل محاميا .

– صه !

أومأت الفتاة نحو الباب قائلة :

- علام كل تلك الضجة ؟

أجاب "تالبوت" :

- إنهما الشرطي وسائق السيارة يريدان أن يوجها إليك بضعة أسئلة ..

قالت :

- فليحضرا .

فقال "تالبوت" وهو ينظر إلى طرف ثوبها المرفوع :

- ولكني لم أنته بعد .

ونظرت إليه فرأت في وجهه سمات الجد ، وقالت :

- لا أحفل بذلك .. فليأتيا .

أقبل الشرطي والسائق إلى الغرفة . وسألها الشرطي وهو متأهب للكتابة في دفتر مذكراته :

- بم تشعرين يا آنسة ؟

أجابت :

- لقد انتهى الآن فحصي .

فانتهز السائق الفرصة واندفع قائلا :

- انظري يا سيدتي : إنه لم يكن لي في الحادث ذنب؛ إذ إنك خرجت مسرعة ..

قاطعه الشرطي قائلا :

- ألا تصمت يا صاح ؟ انتظر حتى أفرغ .

ثم التفت إليها قائلا :

- يجب أن أقدم تقريرا على كل حال .. فما اسمك ؟

- "برنتيس" .. "نورا برنتيس" .

- وأين تقيمين ؟

فقالت ـ وهي تنظر إلى "تاليوت" ؛ لترى هل يصغي إلى كلماتها :

ـ مساكن "جولدن جيت" في هذا الشارع على الجانب الآخر .

ـ وما صناعتك ؟

ـ مغنية في أحد الملاهي .

ـ هل تريدين أي تعويض ؟

فثارت ثائرة السائق وصاح :

ـ أي تعويض ؟ لقد قرر الدكتور أنها لم تمس بسوء .. لماذا ؟!

قاطعته الفتاة قائلة :

ـ اصرف النظر عن هذا الحادث؛ فإني أعتقد أنني المخطئة .

فنظر السائق إلى الشرطي وفي وجهه دلائل الفوز وقال :

ـ هل سمعت ؟ ثم قال لها :

ـ شكرا .. إنك لسيدة حقا .

قالت بعد انصراف الرجلين :

ـ أرى أنني أحدثت أثرا طيبا بنفس السائق !

لم يكن "تالبوت" يحب أن يظهر أمامها بمظهر الرجل الفظ الخشن ولكنه لم يدر أي جواب تتوقع منه على عبارتها هذه ، وراح يكد ذهنه عبثا في استنباط قول ملائم ، فثبت نظارته على أنفه وتناول ربطة من الضمادات وقال :

ـ يحسن بنا أن نضع هذه الآن . وأشار إلى ذيل ثوبها الذي أسدلته قليلا عند دخول الشرطي وقال :

ـ هل تسمحين ؟!

أخذت الفتاة تراقبه وهو يثبت الضمادة على الكدم بأصابعه الرشيقة ثم سألته فجأة :

ـ ألست الدكتور "تالبوت" ؟ لقد رأيتك قبل ذلك من نافذة مسكني ، لا

إخالك تعرف ذلك ؟

قال وهو يلف الرباط :

– إنك في مثل هذه المدينة الواسعة لا تعرفين جارك الأدنى ، هل تجدين الرباط شديداً ؟

– ولكني أعرفك، بل لقد كنت أضبط ساعتي عليك فهي التاسعة عندما تحضر في الصباح أيام الاثنين والأربعاء والجمعة ، والحادية عشرة أيام الثلاثاء والخميس والسبت !!

أيقن الطبيب أنها تعبث به فقال :

– إني أذهب إلى المستشفى في هذه الأيام .

– عندما تذهب للغداء تكون الثانية عشرة والربع ، وفي السادسة والنصف تنصرف إلى بيتك .

– إنك ترسمين لحياتي صورة معتادة مملة ، ولكنني خالفت اليوم هذا الجدول .

– لقد كان هذا من حسن حظي ؛ إذ لولاه لظللت ملقاة في الطريق في انتظار من يعنى بي . ثم أردفت وهي تبتسم : وربما لم نكن لنلتقي قط .

فأجاب وهو يقص أطراف الرباط :

– هذا حسن .

– أتعني الرباط أم الساق ؟



فتمتم الطبيب مشدوهاً :

– أيتها السيدة .. إنني ..

– ألا تستطيع أن تقطع برأي ؟

– إنني صنعت الرباط .. ولكني .. لم أصنع الساق . وأغرقت في ضحكة طويلة مسرفة حتى رأت ما ارتسم على وجهه فكفت عن الضحك فجأة . وقال في هدوء :

– يلوح لي أنك ترين في شخصي باعثا على المرح والابتسام .

فأجابت وهي تبتسم ابتسامة مشرقة مغرية :

– قليلا .. بطريقة ظريفة لا تسوءك . ولكن ماذا أصابني ؟ أتراني ماجنة مستهترة ؟ .

تذكر "تالبوت" ما ينبغي أن يكون بين الطبيب والمريض من التحفظ في الحديث فلم يجب .

وعادت الفتاة تقول :

– أتراني مستهترة ؟

– على النقيض .

– شكرا . هذا أظرف ما سمعت طوال حياتي .

ولم يملك "تالبوت" إلا أن يبتسم ، فقالت :

– يجب أن تكثر من الضحك هكذا فإنه يفيدك .

ومدت قدميها حتى استقرتا على الأرض ولم تلبث أن صاحت :

– أوه ! إني أشعر بدوار . أيمكن أن يكون عندك قليل من الشراب ؟

– أجل ، إني أحتفظ هنا بشيء من الشراب .. للأغراض الطبية .

أخذت تلاحظه وهو يصب قطرات من الشراب في القدح قائلة :

– إنه الصنف الذي أوثره . لا إخالك تحب أن تشرب معي كأسا ؟.



أجاب في حزم وأدب :

– أشكرك .

فقالت وهي تهز رأسها :

– لعل عملي لا يروقك ؟

أجاب وهو يعطيها الكأس :

– ليس لدي اعتراض إذا كان من شأن هذا أن يحسن حالة المريض .

- إن تحسين حالتي يتطلب شيئا أكثر من الكاس ولكنه مفيد على كل حال.

تجرعت الكاس مرة واحدة ثم قالت :

- ها ! إني لأشعر أنني غدوت مخلوقا جديدا . كم الساعة الآن ؟

أجاب :

- إنها حوالي السابعة .

ولم يكد ينظر في ساعته حتى هتف كالمرتاع :

- السابعة ! لم أكن اظن انني تأخرت إلى هذا الحد .

قالت في خبث :

- ارى انك متزوج .

فضحك قائلا :

- اجل، ولديّ دعوة للعشاء حان موعدها . هل تظنين انك تقوين على السير؟

حسنا . . . . سأوصلك إلى مسكنك .

وتأبط ساعدها الأيمن حتى لا يقع ثقل جسمها كله على الساق المصابة فاستطاعت بمعونته أن تقطع الشارع وتصعد السلم إلى مسكنها . ووقف عند الباب ليلقي عليها تعليماته الأخيرة فقال في لهجة سريعة :

- لا تحاولي العمل بل الزمي الراحة يوما أو يومين ، وإذا لم تشعري بتحسن غداً يجب أن تستدعيني .

وهم يلبس قبعته وهو في عجلة من أمره إذ كان يعلم أن زوجته في انتظاره بالبيت ، ولكن "نورا برنتيس" لم تكن في مثل عجلته فقالت :

- اشكرك يا دكتور على الكاس . . بل على كل شيء .

أجاب وهو يهبط السلم :

- لا موجب للشكر . . سعدت مساء .

ولكنها استوقفته قائلة :

– دقيقة واحدة .. كم دبني لك ؟ .

– سأبعث إليك بفاتورة الحساب .

– وهل تعرف اسمي؟

– "برنتيس" .. "نورا برنتيس" .

– لا تنس أنك حملتني كثيراء ولعلك لم تلاحظ انني كنت في نشوة كنشوة الشارب الثمل ؟

– بل لاحظت .

وضحكت في دلال قائلة :

– لست أدري لتلك النشوة سببا ، ولكن شيئا فيك فتنني عن نفسي، على اني ساكون مؤدبة في المرة التالية ."

– هذا حسن .

رفع قبعته للمرة الثانية ثم اجتاز الشارع إلى حيث كانت سيارته في الانتظار، وللمرة الأولى لاحظ جمال ذلك المساء؛ فقد كانت السماء صافية وقد أضفى عليها الشفق حمرة الورد .

ثم ابتسم وهو يصعد إلى السيارة حين خطر له أن ابنته "بوني" تعجب بهذا الوصف .

- 3 -



كان يحلو لـ"تالبوت" أن يفكر في أنه يضم بين جنبيه شخصيتين مستقلتين يندر أن تتدخل إحداهما في شؤون الأخرى . فالأولى شخصية الدكتور "تالبوت" الطبيب والجراح الذي يمارس عمله من الساعة التاسعة والنصف صباحا إلى السادسة والنصف من مساء كل يوم ، والأخرى شخصية "رتشارد تالبوت" الزوج الوفي والأب الحاني الشفيق فيما بقي من الساعات الأربع والعشرين . أجل إنه كان

يحدث أحيانا أن تتنحى إحدى الشخصيتين عن مكانها لصاحبتها وتتجاوز لها عن بعض حقها ، ولكن هذا لم يكن يحدث إلا نادرا جدا وفي ظروف طارئة ملحة لا حيلة له فيها .

ولقد كانت الصفحات السبع التي سودها بخطه الضيق الدقيق ووضعها تحت يده اليسرى وهو جالس إلى مكتبه خير شاهد على أنه يعرف كيف يقصر وقت الطبيب على شؤون الطب دون سواها . وما كان يعرض له ذلك الحديث الذي يجيش به صدره ويود الإفضاء به إلى زوجته "لوسي" إلا حين تستعصي عليه بعض العبارات ما بين وقت وآخر ، ولكنه سرعان ما ينفض هذا الخاطر ويعود إلى الكتابة .

فرغ من فترة في نهاية الصفحة الثامنة ثم نظر في ساعته وإذا بها السابعة إلا ربعا . هب واقفا بدافع غريزي ، ولكنه لم يلبث أن استقر على مقعده في تثاقل ولم يعد إلى الكتابة إلا بعد بضع دقائق .

طرق سمعه فجأة صوت عند باب الغرفة الخارجية يقول :

– "هل هنا أحد ؟" فاجفل وأسرع ليرى من الطارق المنتاب ، وإذا "نورا برنتيس" تحييه هاتفة .

عجب "تالبوت" من نفسه؛ إذ لم يدهش لهذه المفاجاة كأنما كانا على موعد .

واستطردت "نورا" قائلة :

– لقد كان النور مضاء والباب مفتوحا فدخلت .

ثم رأت القلم في يده فأردفت :

– أرجو ألا أكون قد قطعت عليك عملك ؟

أجاب مسرعا :

– لا .. لا بلا ريب .

حاول أن يقول شيئا آخر؛ ليحول بينها وبين الانصراف لعله يتخفف مما يشعر به من الوحشة والضيق ولكن جهده ذهب عبثا ، وزاد من اضطرابه أن رآها هادئة

مطمئنة . وقالت :

– لقد أرسل إليّ صاحب الملهى الذي أعمل به بأنه في حاجة شديدة إليّ؛ إذ إن الملهى يزدحم ليلة الأحد ازدحاما شديدا ، فهل تظن أنني أستطيع الذهاب إلى عملي ؟ .

فقطب حاجبيه وأخذ يعبث بذقنه متفكرا ثم قال :

– حسنا . . بم تشعرين ؟ ألا تؤلمك ساقك ؟ .

– قليلا . . ولكن حالتها ليست بالسيئة .

وفكر ثانية ثم قال :

– أظن أنه لا ضير في ذلك، وإن كنت أنصح لك بعدم الإسراف في الرقص .

فرمقته مستغربة ، ثم ابتسمت ابتسامة بطيئة كأنما سنح لها خاطر لا يجوز لها التحدث عنه وقالت :

– إنني غير ملزمة بالرقص؛ إذ إني مغنية ، وأنا فضلا عن ذلك حريصة محاذرة .

– نعم . . أظن أنه لا ضير عليك . في وسعك الذهاب إلى العمل .

كان يشعر بأنه من السخف أن يعيد عليها قوله ، ولكنه لم يستطع غير ذلك.

شكرته الفتاة ثم انثنت نحو الباب قائلة :

– سعدت مساء .

ووقف يرنو إليها وقد بدا قدها رشيقا فاتنا وهي تجتاز الردهة ، وتألق شعرها اللامع الجميل تحت ضوء المصباح .

إنها ذاهبة إلى حيث الموسيقى الشجية وصليل أدوات المائدة وقرع الكؤوس وأصوات السامرين وضحكهم المرح ، وهاهوذا جامد في مكانه لا يحاول استبقاءها والاستمتاع بصحبتها .

ولكن ما الذي يستطيع أن يتحدث إليها عنه ؟ وما الذي يدعوها إلى الاستماع

إليه ؟ ولكن لعلها يسرها أن يتحدث إليها عن عملها .

والفي نفسه بدون أن يشعر يركض في أثرها هاتفا :

- الآنسة " برنتيس " !

فاستدارت إليه متكلفة الدهشة :

- نعم ؟!

ولكنه الآن يشعر بالاضطراب ، إذ وقفت تنتظر ما يقول وتمتم بلسان متعثر :

- إني .. إني .. أنصح لك مع ذلك بالحرص .

- لقد قلت لي ذلك .

وابتسمت تلك الابتسامة البطيئة الماكرة التي تعلم أنها تضاعف من اضطرابه وارتباكه ثم قالت :

- يلوح لي أنك تنجز عملا .

فابتهج بهذه العبارة ابتهاج الغريق الذي تعلق يده بخشبة طافية وقال :

- أجل ، إنني أحاول ذلك . إني أكتب رسالة في أمراض القلب .

- رسالة ؟ إني أستطيع وضع مجلد بأكمله .

وترددت لحظة ثم قالت :

- حسنا .. إلى الملتقى .

ولكنه استوقفها مرة أخرى قائلا :



- " برنتيس " .. أين قلت إنك تشتغلين ؟

- لم أقل شيئا ولكنه ملهى " ديناردو " في " فيشرمانزهوارث " . لم هذا السؤال ؟!

داخله سرور ساذج بالتظاهر بأن سؤاله كان استجابة لرغبة عابرة فقال :

- لقد ظننت أنني ربما ذهبت إلى هناك فيما بعد لتناول العشاء . هل الطعام الذي يقدمونه جيد ؟

اجابت في لهجة العابث الماكر :

– إذا كان الطعام هو ما تبتغي فمن الخير أن تبتعد ولكن الغناء حسن .. إذا كنت تريد الغناء !



كان "فيل ديناردو" طلق المحيا ، وسيم الوجه ، أنيق الهندام، وكان مبدؤه الذي لا يكف عن ترديده على أصدقائه أن الاهتمام الشخصي وحسن الخدمة والإبداع فيما يعرض على المسرح تكفل دوام الإقبال والرواج . ولم يكن يوجه ذلك الاهتمام الشخصي إلا لمن يخلق به من رواد ملهاه؛ فقد كان يطمح إلى أن يجعله منتدى للطبقة العليا المختارة .

ولا ريب أن "تالبوت" كان ممن يستحقون تلك العناية؛ إذ ما كاد يلج الملهى حتى قصد إليه "ديناردو" محييا وقال:

– طاب مساؤك يا سيدي . هل أنت وحدك أم تنتظر شخصا آخر ؟

– إني ...

وأدرك "ديناردو" ما يريد ، وسرعان ما وجد له في ذلك المزدحم مائدة لشخصين يستطيع الجالس إليها أن يرى المسرح بوضوح . وما كاد الطبيب يأخذ مكانه حتى بدا على المسرح ثلاثة فتيان حسان الوجوه وانطلقوا يغنون بأصوات رخيمة . وراح "تالبوت" يصغي إليهم وهو يجيل عينيه في أنحاء المكان . كان الهواء راكدا تفوح فيه رائحة الطعام والشراب، والموائد تكاد تكون متلاصقة ، والمرء لا يستطيع تحريك يده بدون أن يحتك بالجالس إلى المائدة المجاورة له ، ولكن هذا كله لم يكن إلا ليزيد من شعور المرء بالأنس والمرح .

وبدا لـ"تالبوت" أن بعض الحاضرين والحاضرات يتجاوزون ما تقضي به آداب اللياقة والاجتماع ، ولكن ليس هناك من يرى في ذلك بأسا سواه ، وحول بصره عن

أولئك الخلعاء الماجنين لعله يلمح "نورا" فقد تكون جالسة إلى إحدى الموائد حتى يحل دورها للظهور على المسرح .. أهذه هي ؟ وانقبضت أساريره عندما رأى أحد الخدم ينحني ليتلقى طلبات سيدة إلى يمينه خالها "نورا" وإذا به يسمع صوتا نسائيا يرتفع بالغناء ، وسرعان ما سكنت ضجة الحضور وأرهفت أسماعهم واشرأبت أعناقهم نحو المسرح ، والتفت فإذا "نورا" تشدو بصوت خفيض حنون ، ورأى عينيها تنتقلان من مائدة إلى أخرى حتى استقرتا على مائدته وظلتا متجهتين إليه لحظة قبل أن تتحولا إلى غيره ، وابتسمت ابتسامة خيل إليه أنها تختصه بها دون سواه من الحضور ، فنظر إلى من يحيطون به ورآهم جميعا شاخصين إلى المسرح لا يرون في تلك الابتسامة ما خاله من المعاني والدلالات .. وداخله شعور بالخيبة والأسف لا يدري له سببا .

دلفت "نورا" من المسرح إلى الصالة وهي مسترسلة في غنائها، وأخذت تقف بكل مائدة وتنحني للجالس إليها منشدة مقطوعة من أغنيتها تناسب المقام، ثم تنتقل إلى مائدة أخرى وهكذا . ولا ريب أن أولئك سروا كثيرا بتلك الدعابة وإن لم يخف على "تالبوت" ما ينطوي تحتها من العبث والدلال .

انتهت الأغنية أخيرا ، وقطع ضجة الاستحسان عزف الموسيقى معلنة ظهور منظر جديد على المسرح ، فقصدت إليه "نورا" قائلة :

– أراك قد جئت . .

فتلعثم "تالبوت" وأجاب كأنه يعتذر :

– إني لم أستطع مواصلة العمل .

ومضت بضع ثوان قبل أن يقدم إليها مقعدا .. وقالت :

– ألم توفق إلى مداواة مرض القلوب ؟ إني أشعر بالسقم في قلبي. استغرقت في تأملاتها برهة ، ثم اضطجعت في مقعدها وحدقت إليه قائلة :

– لا أكتمك يا دكتور أني لا أكاد أعرف ما الذي يحدو برجل متزوج تجري

حياته على نظام ثابت من المواعيد على ارتياد هذا المكان ؟ إنك الآن تخالف نظام مواعيدك ..

– لا .. لا .. فليس لديَّ من عمل عاجل ، وزوجتي الآن غائبة عن المدينة .

قالت ساخرة :

– ها .. « إن الزوجة غائبة فلماذا لا أذهب للتلهي بتلك المغنية التي لا يعنيني اسمها ؟ » أليس هذا ما دار بخلدك ؟

أجاب "تاليوت" وقد نال منه الاضطراب :

– حسنا .. لقد بدا لي ..

ولكنها قاطعته قائلة في عنف :

– إني أعلم ما بدا لك .. ولكن من الخير أن أصارحك بأني – وإن لم أكن ذات قدر وخطر – لست – على الرغم من ذلك – من سقط المتاع .

حار المسكين في فهم ما ترمي إليه وإدراك الصلة بين موقفها الشاذ وما قال وفعل ، ولكنه علم من لهجتها ونبرات صوتها أنها ثائرة مهتاجة .. وقال في رزانة :

– أنت مخطئة يا آنسة "برنتيس" .. فما جئت إلى هنا إلا لاعتقادي بأننا صديقان . فهتفت وهي تلحق به إذ هم بالانصراف :

– انتظر لحظة يا دكتور .. لا تذهب ..

فتوقف عن السير واستدار حتى واجهها ، وظلا لحظة صامتين لا ينطقان بحرف ثم انفرجت أساريرهما وتجلت في وجهيهما دلائل الرضا والارتياح .



استنشقت طويلا من ذلك الهواء الذي تفوح فيه رائحة الصنوبر، ثم التفتت إلى "تاليوت" قائلة :

– هذا هو الهواء الذي طالما تمنيت استنشاقه .

رنا إليها " تاليوت " وقد عبث النسيم بشعرها الناعم وسرت في وجنتيها حمرة الورد فلم يدر كيف داخله الشك في أنها ستهنأ بزيارة هذا الكوخ .. أيهما " نورا برنتيس " الحقيقية ؟ هي هذه الفتاة الغريرة التي تتمايل أعطافها مرحا ، أم تلك المغنية المحترفة بذلك الملهى المتواضع ؟ لقد أحس - حتى في الليلة الماضية - أن تحت المظهر العابث المستهتر فؤادا عامرا بالعواطف الإنسانية الصادقة ، فهل أخطأ في ذلك أم أصاب ؟

ولكن لماذا يجهد نفسه بالتفكير في هذا ؟ حسبهما أن ينعما معا بهذا اليوم السعيد .

فتح الباب وتنحى جانبا لكي تدخل وهو يقول :

- لننظر داخل الكوخ قليلا . إني لم أحضر إلى هنا منذ زمن طويل ، وما أدري ما فعل الترك والإهمال .

وقفت " نورا " تجيل عينيها في الغرفة صامتة ، وقد كسا الغبار كل ما بها وأضفى عليها دثارا رماديا كريه المنظر ، وقد نسج العنكبوت خيوطه على رفوف الكتب .

وأخذ " تاليوت " يتبع نظراتها قلقا آسفا ، فقد كان ينبغي أن يتوقع هذه الحال ويعمل على تنظيف الكوخ قبل المجيء بها إليه . وقال كأنه يعتذر عن هذا التقصير :

- أرى أن هذا المنظر ليس مما يبعث على السرور والرضا .

فقالت وهي تتنقل بين حجرات الكوخ مستطلعة :

- وكيف تدعه يصير إلى مثل هذه الحال ؟



- ليس ثمة من يعنى به سواي .

وراعها ما يتمثل في نبرات صوته من هم وألم حبيس فالتفتت نحوه ثم أشارت إلى بيان صغير قبالة النافذة وسألته :

- من يعزف عليه ؟

– إني أعزف عليه أحيانا ، أو كنت أفعل ذلك على الأقل . إن هذا الكوخ يكاد يكون الشيء الوحيد الذي فكرت فيه من تلقاء نفسي بدون أن يكون لي في رأيي شريك . انظري إليه !! غبار عنكبوت !

ومضى يحدثها في حزن وألم كيف انصب عليه اللوم والتعنيف من كل جانب! فلقد جاوز الصواب في ابتياع هذا الكوخ الجبلي الذي يبعد عن المدينة كثيرا ، ولا يصلح لصغره لإقامة المآدب والحفلات، وما فائدة مكان لا يستطيع المرء أن يدعو إليه معارفه وأصدقاءه ؟

بهذه العبارة وأمثالها كانت زوجته تجيب إلحاحه عليها في زيارة الكوخ وهي ترمقه بنظرات تجمع بين السخرية والرثاء .

فرغ "تالبوت" من شكايته ثم قال في هدوء :

– لعله من الخير أن ننصرف .

– أتريد مبارحة الكوخ الآن حقا ؟ إنه ليس بالرديء، وفي وسعنا تنظيفه في وقت قصير .

– أتعنين أنك تريدين المكث هنا ؟

– بلا ريب ، وأكبر ظني أنني لم أنس بعد كيف أمسك بالمكنسة . هيا لا تقف هكذا مكتوف اليدين .. افتح النوافذ .

وأكبا على العمل، و"تالبوت" يأبى إلا أن يعاونها حتى فيما لا يصلح للقيام به غير شخص واحد . وبدت المهمة سهلة يسيرة وكان يراها قبل ذلك عسيرة شاقة وحاولت ألا تنظر إليه حين أضاء المصابيح وجلس إلى البيان ، كما حاولت أن تتجاهل وجوده عندما رفع الغطاء ومر بأصابعه على المفاتيح، ومالت على البساط بجانب الموقد المشتعل وقد حولت عنه وجهها . وبدأ يعزف فتسللت النغمات إلى أعماقها وهزت مشاعرها هزا عنيفا حتى بات من العسير عليها أن تمضي في صمتها فقالت :

– إنه للحن ظريف !

– إنه لـ"شوبان" .

– أجل .. اعرف ذلك .

– ما الذي يحملك على الابتسام ؟

فاستدارت إليه مستغربة وقالت :

– وكيف عرفت انني كنت ابتسم ؟

ولكنه صمت هنيهة ثم قال في بطء :

– أظن ان لك كثيرا من الاصدقاء ؟

ولو كان قريبا منها لمدت يدها تمس يده ، ولادت تلك اللمسة من المعاني ما لا تؤديه الكلمات؛ فلقد كانت تتمنى ان يعرف ان عواطفها نحوه تختلف كل الاختلاف عما تشعر به نحو كل من تعرف ، وإن آثرت الا تجاهره بذلك في قول واضح صريح؛ حتى لا تجشمه مرارة الاسف على تجوره في الحكم عليها . وأجابته :

– أصدقاء ؟ إني لا احب ان ادعوهم كذلك ، فما اكتمك ان اكثرهم لا يبتغون سوى الانس والتسلية .

– ولكن صاحب الملهى .. "دينادرو" ؟ إني لاظنه يميل إليك .

قالت ساهمة :

– أجل .. هكذا يقول لي ، إنه ذاهب إلى "نيويورك" لافتتاح ملهى جديد ويريد ان أصحبه .

إن ميل "دينادرو" إليها لم يخف عليه إذن مع انه لم يقف عند مائدتهما سوى دقيقة أو دقيقتين !

تلا ذلك برهة صمت ثم سألها :

– وهل تنوين الذهاب ؟

– لا أظن ذلك؛ إنه ليس بالرجل الذي انشده .

أفلتت هذه الكلمات من بين شفتيها قبل أن تشعر بأنها تتكلم . إن "فيل ديناردو" ينتظر رأيها في هذا الشأن منذ أكثر من أسبوعين؛ إذ هي تعقد عزمها بدون روية ولا تفكير . وراحت تتأمل ضوء نار الموقد وهو يتراقص على محياه . وسألها :

- وما الذي تنشدين يا "نورا" ؟

- لا أدري . ولقد كنت أظن فيما مضى أنني أعرف ما أريد ، فأقبلت إلى هنا من بلدة صغيرة في الغرب راجية أن ألتقي مع من يرسلني إلى "نيويورك" أو "هوليوود" ولكنها كانت - كما تعلم - أضغاث أحلام وقد أعرضت عنها .

حول وجهه عن الموقد وأخذ يتفرس فيها قائلا :

- لماذا ؟

أجابت :

- إن الأحلام لا تلبث أن تتلاشى إذا صدمتك حقائق الحياة .

فهتف في ألم:

- "نورا" !

- لا تأس عليّ . إني أحب حياتي الراهنة ويروقني أن أكون "نورا برنتيس" التي تغني ست مقطوعات كل ليلة وتحتسي شيئا من الشراب أحيانا مع أحد الزبائن . إني قانعة بما أنا فيه ولا أجد سببا للتبرم والشكوى .

- إنك ظريفة جدا يا "نورا" . بل أنت أظرف مما تظنين .

- إنه لظريف منك أن تقول هذا ، فما مدحني قبلك أحد بأكثر مما فيّ ، وإني أحب هذا الثناء .

- لعلك تعلمين - يا "نورا" - أنك عندما جئت إلى عيادتي منذ يومين كنت قاسية جدا مسرفة في العبث والاعتداد بنفسك .

- كان هذا أيضا رأيي فيك منذ يومين؛ إذ لحت لي مسرفا في الجد والوقار .

وشعرت برعدة تتمشى في جسدها حين رأته ينهض عن مقعده أمام البيان ويسير نحو الموقد . فلما وقف بجانبها لم يكن صوته يتجاوز الهمس وهو يقول :

– منذ يومين كان كل منا غريبا عن الآخر .

وعند ذلك فوجئت بوخزة شديدة من الالم بساعدها الذي تتكيء عليه فهبت واقفة وقالت :

– يحسن بنا أن نذهب .

فسألها :

– ماذا حدث ؟

امسك بكتفيها يحاول أن يقرأ الجواب على وجهها .

فاجابت وهي تحول عنه وجهها وتتكلف الخشونة :

– لا شيء .. لا شيء .. إننا انفقنا يومنا كله هنا ولكل شيء نهاية .

فسقطت ذراعاه إلى جانبيه وقال :

– هل فعلت ما يجرح شعورك ؟

أجابت :

– لا شيء من ذلك .

كان من أشق الأمور عليها أن تحتمل وخز ضميرها وقد بدأت تتبين ما يعتلج في نفسيهما ويتعمق في فؤاديهما . إنها لتشعر بان من واجبها ان تحول بين هذه العاطفة الوليدة والنمو والتمكن ، وإنها لخليقة بكل ما قد يصيبها من العذاب والالم ولكنها لا تستطيع ان تعرضه للتعاسة والشقاء وهو غافل عما يتربص به .

وحاولت أن تكون رقيقة بدون ان تذهب في ذلك إلى أبعد مما ينبغي فقالت :

– إنك أول رجل يحفل بشعوري وكرامتي .

– ماذا بك إذن ؟ لقد كنت منذ لحظة سعيدة قريرة العين .

– اجل .. كنت كذلك . فلقد نسيت ان في الحياة اياما كيومنا هذا ، ولقد

وددت ألا ينتهي أبدا .

فاخذ يذرع الحجرة مطرقا براسه وهو يقول :

لا افهم ماذا عراك .

- انظر ، لقد بدأت هذا رغبة في اللهو والدعابة ، ولكن الامر لم يعد لهوا ولا دعابة !!

وتناولت معطفها من فوق احد المقاعد وراحت تلبسه قائلة :

- إنك الرجل الذي يمكن أن يفتنني عن نفسي ، وهذا ما لا أرغب فيه .

- "نورا" !

- لا ، فما الفائدة ؟ ما الذي أخرج به من هذه المغامرة إذا ما ذهبت النشوة وانقضى الأمر بيننا ؟ لقد قاسيت في حياتي كثيرا من الآلام ولا قبل لي بالمزيد منها .. فلنغادر هذا المكان بربك .

اعاد "تالبوت" غطاء البيان وأطفأ المصابيح ثم تناول قبعته ومعطفه وتبعها إلى الباب، وكانت اشعة القمر الباهتة تراقص الأشباح على البيان والموقد ، ومد يده دون أن يتكلم وضغط يدها فكان في هذه الحركة الخفيفة ما ضعضع إرادة "نورا" وحطم عزمها .

همس :

- "نورا" !

- لا تقل شيئا .



- 4 -

كان يصعد السلم الخفي إلى مسكنها واجفا مضطربا لا يعلم كيف تكون تحيتها له : أتلقاه بالدهشة والعجب ، أم بالسرور والاغتباط ؟ أكبر الظن أنها ستلقاه في شيء من التحفظ والانكماش ، فإن الصبح يهدئ دائما من فورة العاطفة

وحدتها ، ويفرغ على النفس السكينة والاستقرار بعد القلق والاضطراب ، ولكن الدقائق الثماني عشرة التي سيقضيها معها كفيلة - على كل حال - بإرواء غلته بقية النهار ، ولعله يستطيع أن يظفر بدقائق أخرى عندما ينتهي موعد العيادة .

ضغط زر الجرس وأرهف سمعه منصتا إلى وقع قدميها أو حفيف ثوبها فلم يسمع شيئا .. وضغطه مرة أخرى نحو نصف دقيقة .

أتراها خرجت ؟ لعلها توقعت أن يعرج عليها فتعمدت تجنبه إذ هالها إذعانها له في الليلة الماضية ، وإنه ليفكر فيما يفعل إذ سمع وقع خطواتها .

ولما فتحت الباب لم ير في وجهها شيئا مما توقعه ، فلا دهشة ولا عجب ، ولا تحفظ ولا انكماش بل كان في محياها شيء أدنى إلى القلق والانزعاج . وابتدرته قائلة :

- أمريض أنت أيها الحبيب ؟ ادخل سريعا .. هنا ..

ضحك وهو يضمها بين ذراعيه هاتفا :

- "نورا" ! عزيزتي "نورا" ! ما أشد ما انتابني من الهواجس والوساوس .

وأكب عليها يغمرها بقبلاته في جد وهيام .

وكان سبب تأخرها بعيدا أشد البعد عما طاف برأسه من المخاوف والأوهام؛ إذ كانت مستغرقة في النوم فلم تسمع رنين الجرس .



تأخر "تاليوت" خمس دقائق عندما وصل إلى عيادته في الصباح ، وخمسا وأربعين عندما عاد إلى بيته في المساء .

وكانت "لوسي" قد أخرت العشاء حتى يعود ، فسألته عن سبب هذا التأخر الطويل ولكنها لم تطق صبرا حتى تسمع جوابه ، بل اندفعت في حديث طويل عن أمها .

عجب "تالبوت" إذ أتى من نفسه سرورا لا عهد له بمثله لعودة "بوني" و"جريج" بل و"لوسي" أيضا ، وخيل إليه أنهم افترقوا عنه دهرا كاملا، ولكنه شعر كذلك بشيء يباعد ما بينه وبينهم حتى لكانهم غير اولئك الذين ودعهم يوم الجمعة . وهكذا أقبل عليهم يصغي إلى كل ما يقولون في اهتمام ، وأخذ يغريهم بالمضي كلما فتر الحديث حتى آووا إلى مضاجعهم؛ فلقد كان يحس في قرارة نفسه أن هذا الحديث يدنيهم منه ويعوضهم عما فرط في حقهم كأب وزوج . وكان راغبا أشد الرغبة في مواصلة الحديث مع "لوسي" بعد انصراف ولديه ولكنها استأذنت في الذهاب لمراجعة حساباتها ، فأكب على رسالته في امراض القلب وهو يشعر بشيء من الأسف .

وظل بقية ذلك الأسبوع يغادر بيته مبكرا ، ويعود إليه متاخرا ، ونجح في إقناع "لوسي" بإعفائه من إجابة ثلاث دعوات للعشاء . ولكن شغفه بـ"نورا" كان لا يفتا مع ذلك يتضرم ويحتدم ، حتى بات من العسير عليه أن يفترق عنها لحظة .

وفي الأسبوع التالي اتفق مع "نورا" على أن يتناولا الغداء معا كل يوم ، ثم أخذ يحملها بسيارته في بعض الامسيات إلى ملهى "ديناردو" ، وما لبث ذلك أن أصبح عادة منتظمة مستمرة .

أما في العيادة فقد وجد سكرتيره نفسه مضطرا - في كثير من الاحيان - إلى الاعتذار للمرضى ، وإحالة الحالات العاجلة إلى زميله الدكتور "جويل موريان" .

ران هوى "نورا" على بصيرته وفتنه عن نفسه فلم يعد يطيق مفارقتها لحظة ، وغدت أعذاره واهية متهافتة إذا تمحل شيئا من الأسباب والمعاذير .. على أن العاشقين لم يجدا في ذلك شيئا من برد الراحة والاطمئنان ، فما كانا يجهلان أن هذه الحال لابد أن تفضي بهما إلى ما لا تحمد عاقبته .

وفي صبيحة عيد ميلاد "بوني" ، لم يخف على السيدة تالبوت" وولدها "جريج" ما ارتسم على وجه الفتاة من سمات الخيبة والالم عندما نظرت إلى مقعد

أبيها أمام المائدة فرأته خاليا .. لقد تعود في العهد الأخير أن يتأخر في النوم ، ولكن كان خليقا به أن يقدر لهذا اليوم حقه دون بقية الأيام .

تبادلوا التحية في مرح متكلف وبشر مغتصب ، وأخذ "جريج" يداعب شقيقته للتسرية عنها ، وانثنت الفتاة إلى أمها قائلة :

- ألم يقل أبي شيئا عن الاحتفال بعيد ميلادي الليلة ؟ أتظنين أنه ينسى؟

- محال .. إنك تعلمين أنه لا ينسى شيئا كهذا .

وأدركت أنها أخفقت في إقناع ابنتها فتحولت إلى "جريج" قائلة :

- أظن أنه ينبغي أن توقظه الآن .

وبعد هنيهة سمعنا صوت "جريج" وهو ينادي اياه محاولا إيقاظه ، ثم دمدمة خافتة ثم وقع خطى "تالبوت" الثقيلة وصوته المرتفع الساخط وهو يقول : "ألا يوقظني أحد على كثرة من بالبيت ؟ لا تقف هناك ! .. ثم هدأ الصوت قليلا وقال: "إني آسف يا ولدي .. سأنزل سريعا .

عاد "جريج" عابسا كاسف البال ، ففرغت "بوني" من فطورها وأسرعت إلى ارتداء معطفها ثم سارت نحو الباب تريد الخروج ، ولكن "تالبوت" أقبل في تلك اللحظة وعيناه منتفختان من النوم ، وقال :

- أسعدت صباحا يا "بوني" .

وقفت الفتاة متوقعة أن يذهب إليها ليحييها التحية اللائقة بذلك اليوم السعيد ولكنه اتجه بدلا من ذلك إلى زوجته قائلا :

- أسعدت صباحا يا "لوسي" .

فاندفعت الفتاة خارجة من البيت بدون أن تنبس بحرف .

وتنهدت السيدة "تالبوت" تنهدا طويلا وهي تعد له طعام الفطور .

وقطعت عليه استغراقه قائلة :

- "رتشارد" .. إني أعلم ما يشغلك من المشاغل والأعمال ، ولكن هل لك أن

تجيء الليلة مبكرا ؟

- نعم .. بقدر ما استطيع .

وغاظها ذلك فقالت :

- ايعني هذا بعد منتصف الليل كعادتك ؟

وهم بجواب لاذع ولكنه تمالك نفسه في آخر لحظة . إنها لتعود إلى نظامها البغيض ، وقد كان يحتمل منها هذا العسف فيما مضى لو انها عنيت به حقا ولكنها لم تعن به قط عندما كانت تجدي العناية، أما الآن فقد انقضى الامر وبات تدارك ما فات مستحيلا . ولم يجد غضاضة في الكذب فقال :

- لا حيلة لي في ذلك إذا اضطرتني إليه اعمالي .

قالت في جفاء :

- حاول الليلة فإنها مهمة جدا .

فانفجر غاضبا وقال :

- إن كل ما ترين مهم .. الم يخطر لك قط ان اعمالي مهمة كذلك ؟

- بدون شك يا "رتشارد" . إني لم اقل ذلك إلا لان الليلة هي ...

فالقي بسكينه وشوكته على المائدة قائلا :

- إني سئمت قولك لي متى ينبغي أن استيقظ ومتى انام ، ومتى اذهب إلى عملي ومتى أعود !

- ليس ثمة ما يستوجب كل هذا يا "رتشارد" .

لم يزده هدوءها إلا حدة وانفعالا فصاح بها :

- إن لي عشرين عاما آخذ نفسي بنظام دقيق لا يتغير ولا يتبدل ، فهل ساءلت نفسك مرة : ألا يثقل عليّ أن أسجل حضوري هنا في الساعة السابعة تماما كل مساء لا اتقدم عنها ولا اتأخر ؟ هل عنيت لحظة واحدة بي او بعملي أو بما هو بين جوانحي ؟

فراحت تحدجه بنظرها لحظة وهي صامتة ثم قالت في تمهل :

– لقد بدأت الآن أسأل نفسي عما يعتلج بين جوانحك .

– ماذا تعنين بذلك ؟ – لا شيء .. غير أني لست بالغبية كل الغباء ! إن هذه الضرورة المفاجئة التي تضطرك إلى العمل الكثير حتى الساعة الرابعة صباحا تبدو لي عجيبة غاية العجب. إن أهل "سان فرانسيسكو" لا يمكن أن يكونوا جميعا فريسة للأمراض والأسقام !

– إني ... ثم نظر في ساعته وقال مسرعا :

– حسنا .. فلنرجئ هذا الحديث إلى وقت آخر .

ولأول مرة منذ عشرين سنة خرج بدون أن يودعها . كان الدكتور "موريان" يضع بضعة ألواح فوتوغرافية في ظرف أسمر عندما وصل "تالبوت" إلى العيادة وأخذ ينظر إلى الأوراق المبعثرة على مكتبه في غير نظام بدون أن يحاول إخفاء استيائه . لا ريب أن "جويل" حضر مبكرا ، ولعله أراد استلفاته إلى تأخره بهذه الطريقة بدلا من أن يصارحه برأيه ولكن ماذا على "تالبوت" إذا تأخر قليلا ؟

قال "جويل" وهو يومئ إلى الغرفة الداخلية :

– إن "بيلي" هناك وكان ينبغي فحصه بأشعة "إكس" في الساعة التاسعة .

أجاب "تالبوت" في ضجر :

– أعرف ذلك .. لم أنس .

– ولم يكن في وسعه الانتظار فقمت بفحصه .

فمد "تالبوت" يده نحو الظرف قائلا :

– حسنا .. ارني النتيجة .

فأجاب "جويل" وهو يعطيه الظرف :

– إن "بيلي" يتشوق إلى التفاهم معك؛ لأنه في أشد الاضطراب .

فقال "تالبوت" وهو يعرض اللوح للضوء :

- وماذا أقول له ؟ إنه لن يعيش ستة أشهر أخرى .

بهت "تالبوت" حين سمع صوت المريض من خلفه فاستدار نحوه ، ولكنه لم ير في وجهه ما يدل على أنه سمع كلماته أو لم يسمعها ، وقال له متلعثما :

- أرى - يا سيد "بيلي" - أنك لقيت كثيرا من العناية .

فأشار "بيلي" إلى ألواح التصوير التي بيده وقال :

- نعم .. شكرا لك .. ما رأيك ؟

- لم يتسع الوقت لفحصها ويمكنك الحضور فيما بعد .

غادر المريض الغرفة في خطى متثاقلة فهتف به "جويل" :

- يجب أن تظل متصلا بنا .

وانثنى إلى زميله قائلا :

- لقد طلب المستشفى يا "رتشارد" أن يعرف هل يمكن الاتصال بك؛ لأنك لم تكن بالمنزل .

- أجل .. أعرف ذلك .. لقد دعيت إلى حالة طارئة .

- إنك دعيت إلى كثير من الحالات الطارئة في الأيام الأخيرة يا "رتشارد" ، وما أعني بذلك نقدك والاعتراض على تصرفاتك .

فقاطعه "تالبوت" قائلا :

- حسنا .. هل من شيء آخر ؟

فتنهد "جويل" آسفا وقال وهو يغادر الغرفة :

- لدي عدة زيارات ولست بعائد اليوم .. إلى الملتقى هذا المساء .

أجاب "تالبوت" في شرود :

- إلى الملتقى .

ولم يتنبه إلى كلمات زميله إلا بعد انصرافه .. هذا المساء ؟ أين يلقاه الليلة ؟ أتراه يعلم باختلافه إلى ملهى "ديناردو" ؟ أم تراه يعني ما وصفتها "لوسي" بأنها

"مهمة جدا" ؟

إن "موريان" سيكون هناك أيضا !

وكف عن التفكير في ذلك وقرع الجرس ليأتوه بالمريض التالي .



أدرك "تالبوت" منذ أن دخل مسكن "نورا" ما طرا عليها وعليه من التبدل والتغير، فليس في صوتها حرارة الشوق وما ألف ، وليس في حركاتها عندما تقدمت لاستقباله ورفعت إليه ثغرها ليقبلها ما عهد فيها من تضرم الصبابة والهيام .

وأعوزه الكلام فأخرج علبة سجائره ، وقدمها إليها ولكنها نحتها بإشارة من يدها، وقالت :

– هل تعلم زوجتك بأمرنا يا "رتشارد" ؟

فوجئ بهذا السؤال فكاد يمسك أنفاسه ثم قال :

– لا .. وما أدري ماذا أقول لها إن اكتشفت هذه الصلة . لقد كان التفكير في ذلك شغلي الشاغل طوال اليوم فلم أكد أفرغ لحظة لعملي .

– ولماذا تقول لي ذلك يا "رتشارد" ؟

فنظر إليها، ثم أخذ يقلب بصره في الغرفة في عجز واستخذاء ثم قال :

– حسنا .. قد لا أستطيع الإكثار من لقائك كما كنت أفعل .

– ألا ترى أن من الخير أن تنقطع عن لقائي انقطاعا تاما ؟

وعلم أنه أخطأ فيما قال وأساء التعبير، وكان خليقا به أن يتلطف بها ويختار طريقة لا تؤلمها هذا الألم العميق . وتمنى لو لانت قليلا وخففت من غضبها حتى يستطيع أن يطوقها بذراعيه مواسيا . وقال أخيرا :

انقطع عن لقائك ؟ لا .. إن هذا لن يكون . لن أنقطع عنك إلا ريثما أهتدي

إلى وسيلة من الوسائل .

– وهذا يعني أنك ستراني عندما لا يكون في ذلك حرج عليك .

فقال مستعطفا :

– لم أقل ذلك .

– هذا هو ما تريد .

– بربك يا "نورا" .. إن هذا فوق احتمالي . ألا تفهمين ؟

– إني أفهم ، ولكن الأمر يعنيني كما يعنيك تماما . لقد سئمت التسلل حول الزوايا والأركان واختلاق الحجج والمعاذير ، وأنا مثلك . أتعرف كيف مرت عليّ الأشهر الأخيرة ؟ .

– "نورا" .. إنني أقدر ..

– لقد كان هذا حسنا عندما كنا سعيدين ، ولكننا الآن لسنا كذلك .

– لست أعرف ماذا أقول أو أفعل .

– لقد أخبرتك ذات مرة أنه لن يكون عليك بأس إذا آن لك أن تتخلى عني وقد حدث ما توقعت . إن لك يا "رتشارد" زوجة وأولادا وحياة لا تصلني بها صلة فاذهب ... اذهب إلى بيتك ودعني وحدي .

وتذكر ما كان بينه وبينها ليلة الكوخ؛ لقد كانت إذ ذاك من الدعة واللين بقدر ما فيها الآن من الصلابة والعزم .

ولكنه يعلم أن من تحت هذه الأقوال عزيمة لا تلبث أن تنهار كما انهارت في تلك الليلة .



سألها :

– وأنت ؟

لقد كانت على أتم الأهبة لمجابهة اعتراضاته وإلحاحه ، ولكنها لم تتوقع هذا السؤال وهي حقيقة لم تغب عنه . وأشاحت عنه بوجهها فأيقن أن الفراق بينه

وبينها محال ، وسوف يهدد بات إلى سعادة لم يحلما بإمكان تحقيقها . وهيهات أن يعرضا عن هذه السعادة طوعا واختيارا .

وقالت تطمئن نفسها :

– ساكون على ما يرام؛ فإن "فيل ديناردو" ابرق إليّ اليوم وقد ارحل إلى "نيويورك" .

وهتف يقول في حدة :

– كلا .. لن ادعك تفعلين ذلك . ساتحدث إلى "لوسي" وساطلب إليها الاتفاق على الطلاق .

- الطلاق ؟

– أجل . إن السبيل الذي تسير فيه الآن مجحف بنا كلينا ، وسنرحل إلى مكان آخر حيث نشيد لنا حياة جديدة .

فاخذت تتفرس في وجهه لعلها تلمح بادرة من التردد والإحجام وهي تخشى الأمل والخيبة على السواء ، وقالت في صوت جامد :

– أواثق أنت أن هذا ما ترغب فيه ؟

– نعم .. ساخبرها الليلة وساحضر إليك في بكرة الصباح غدا .

وسرعان ما اندفعت إلى جانبه والصقت وجهه بوجهها وراحت تقبله بعنف وحرارة .

وقالت في صوت عذب رقيق :



– "رتشارد" ! لكم احبك !



نجحت الحفلة إلى ابعد حدود النجاح من وجهة نظر "بوني" واترابها على الأقل؛ فقد حفلت الموائد بما لذ وطاب من الوان الطعام وصنوف الحلوى والمرطبات ،

ورفعت السجاجيد عن أرض القاعة اللامعة ليرقص عليها الراقصون ، وصدحت الموسيقى بأعذب أنغامها وأشجى ألحانها . وضاعف من ابتهاج الشباب أن انتحى الكبار جانبا فخلا لهم الجو يلهون كما شاءوا ويعبثون . أما ذلك الطبيب الذي يدعونه العم "جوبل" فقد كان يلهو معهم ويعبث ويعدونه واحدا منهم وإن كان قد جاوز الثلاثين .

ولم يعجب أولئك الشباب إلا لأن "بوني" كانت تتسلل بين الفينة والفينة لتسأل : ألم يعد أبوها ؟ فلماذا تشغل نفسها به وهم يدونه على ما يرام لا ينقصهم شيء من أسباب اللذة والسرور ؟

كانت "لوسي" تتلطف بأولئك الشباب وتمد لهم في حبال اللهو والمرح ، كما كانت تؤكد لـ"بوني" أن أباها لا يلبث أن يأتي، ولم يساورها شيء من القلق الذي يستبد بابنتها إلا بعد أن مضت ساعتان كاملتان .

لتنحى بها "موريان" جانبا يبث في نفسها الهدوء والاطمئنان فقالت :

- ولكنني لا أفهم أين يمكن أن يكون . ماذا به يا "جوبل" ؟ إنه يأبى أن يصارحني بشيء .

فبسط "جوبل" يديه قائلا :

- إنه يأبى مصارحتي بشيء كذلك . ووضع ذراعه في ذراعها وقال :

- ولكن مهما يكن من أمره يا "لوسي" فإني أنصح لك ألا تتشددي في معاملته كزوج .



وأردف بلسان متلعثم :

- إن الرجال المتزوجين كثيرا ما يتهجون سبيل .. سبيل .. الرجال غير المتزوجين.

وكف عن الكلام ، فقالت تستحثه :

- ثم ماذا ؟

أجاب :

- خذي بنصيحتي واحمليه على أخذ فترة من الراحة والاستجمام ، وارحلي معه في شهر عسل جديد ، ولكن حذار أن تتذكي في ذلك .

ولكن "لوسي" لم تكن مصغية إليه ، إذ سارت نحو الباب وهي تهتف في انفعال :

- هاهوذا ! وصاحت بالخادمة :

- اعدي الكعكة الكبيرة فقد جاء !

ثم تعلقت بذراعه قائلة :

- أواه يا "رتشارد" ! إنني لفي أشد السرور بمجيئك .

لم يكن "تالبوت" يتوقع هذا الاستقبال ، فلو تلقته باللوم والعنف لكان أقل حيرة واضطرابا . ورأى الأضواء تتألق في كل مكان فقال :

- ما هذا ؟ ومن هؤلاء كلهم ؟

- لقد حاولت أن أخبرك في الصباح ، إنه عيد ميلاد "بوني" .

فقال يردد عبارتها متلعثما :

- عيد ميلاد "بوني" ؟

- أجل .. ولقد خشيت أن تكون قد نسيت .

لم يكن في صوتها شيء من رنة التشفي أو الفوز .. ليس فيه غير الخيبة المرة والألم . اليوم عيد ميلاد "بوني" ؟ ويحه ! كيف استطاع أن ينسى ذلك ؟

وقال مضطربا :



- وماذا أنا صانع ؟ إني لم أحضر لها هدية .

فمدت إليه "لوسي" ربطة صغيرة قائلة :

- لقد احتطت لذلك عندما لم أسمع عنك خبرا بعد الظهر فابتعت هدية .. قدمها إليها فإنها ستعجبها وتروقها .

استعصى عليه القول وعصاه لسانه .. إنها لتفكر في كل شيء وتتقذ كل

موقف ، وهو مع ذلك يوشك أن يفضي إليها بالحقيقة الهائلة المروعة عن أمره مع "نورا" !

وقال :

- "لوسي" .. إنني ...

ولكنها لم تشأ الإصغاء إليه وتجشيمه ألم الاعتذار ، فقالت وهي تدفعه إلى الباب :

- من الخير أن تدخل الآن .. تصرف كأن لم يحدث شيء . هيا .

وزاد غصته وألمه أن كانت "بوني" في انتظاره عند باب القاعة ، فطوقت عنقه بساعديها وقد وقف "جوبيج" خلفها .. وجهد "تالبوت" في أن يسمو إلى مثل بشاشتهما وجذلهما ، فقال وهو يوزع بينهما ابتساماته :

- حسنا .. حسنا .. كيف حال فتاتي التي تحتفل بعيدها ؟

فهتفت "بوني" وقد تهللت ابتهاجا :

- هل ذكرت ذلك يا أبي ؟

قال :

- ذكرت ؟!

ألقي هذه الكلمة كأن النسيان أبعد شيء عن الإمكان وهو ينقم من نفسه هذا الكذب والخداع . ولم يسعه إلا أن يسترسل في الكذب فمضى قائلا :

- ليس عليك إلا أن تبحثي في هذا الجيب .

فصاحت وهي تخرج الربطة الصغيرة من جيبه وتفتحها قائلة :

- أهو ما كنت أتوقع ؟

- أظنه كذلك .

وأخيرا مزقت الغلاف وفتحت العلبة ووضعت الساعة الأنيقة في معصمها هاتفة :

- إنها لكذلك ! أبي .. إنها جميلة .. جميلة !

وهتفت بامها لكي تاتي لرؤيتها :

– أماه ! إنه لم يحس ! أليست رائعة ؟

شاطرت "لوسي" ابنتها جذلها وابتهاجها بدون أن تبدر منها بادرة تدل على أنها رأت الساعة من قبل ، فما كانت تبغي حمدا ولا شكرا، حسبها دائما أن تضفي على غيرها السعادة والسرور .

وراح "تالبوت" يفكر في هول ما كان يعتزم الإقدام عليه وبشاعته .

- 5 -

خيل إليه أنه قد مضى دهر طويل حتى كف جرس الهاتف عن الرنين .. دهر حافل بالأصوات ووقع المقاعد والاسرة وجرها في الممشى المرصوف ، وقد عبقت في الجو رائحة محببة إلى النفس وقال :

– "نورا" ؟

وسمعها تجيب :

– مرحبا "رتشارد" ! .

وأدرك ما ينطوي تحت كلماتها من حماسة الترقب والانتظار .. ولكن كيف يهيئها لسماع ما يريد أن يفضي به إليها حتى لا تغضب ؟

وقال :

– إنني بالمستشفى اليوم للقيام بعملية .

ولكنها لا تستطيع أن تعلم أنه بعد عشر دقائق ستكون حياة رجل معلقة به وبعمله ومهاراته وثبات يده، بل سيكون في الوسع إنقاذ حياة غير هذا المريض في المستقبل إذا أسفرت هذه التجربة عن النجاح .

قالت وهي لا تزال تنتظر وتترقب :

– نعم .

وما عسى أن تكون المستشفيات والعمليات بالنسبة لها إلا رموزا ومعاني مجردة لا تمت بسبب إلى عالم الحس والواقع ؟

راودته فكرة أن يعيد السماعة إلى مكانها ويلقي اللوم على "السويتش" حين يتحدث إليها بعد الفراغ من عمليته . ولكنه أيقن أنه إذا فعل ذلك فلن يستطيع إلى الخلاص من التفكير فيها سبيلا ، وسيظل صوتها المترقب يتداول سمعه .

أغمض عينيه مستسلما إلى عجزه واستخذائه ثم قال :

- لا أعرف ماذا أقول . إنني لم أخبرها ، وكنت قد أوشكت أن أفاتحها في الأمر فرأيت الفرصة غير ملائمة .

وكف عن الكلام متوقعا أن تجيب بشيء ، ولكنه لم يسمع صوتا فاستطرد قائلا :

- لقد كان عيد ميلاد ابنتي ، وإن كنت قد نسيته . على أية حال لم أستطع .

- إني مسرورة إذ لم تخبرها .

- ولكني سأخبرها .

أجابت في فتور :

- بلا ريب . . الوداع يا "رتشارد" .

ولم يكن أمامه متسع من الوقت لاستبقائها وإقناعها بالتريث والاتزان ؛ فالممرضون يذهبون ويجيئون في قاعة العمليات ، والأطباء ومساعدوهم يتشاورون ويتداولون وهم يستعدون . ورأى "جويل موريان" ورجلا آخر يسيران في الممشى نحوه فقال في الهاتف :



ساحضر فور فراغي من هنا .

أجابته في هدوء :

- أؤثر ألا تأتي .

واختلطت في رأسه الأصوات فقال :

- ماذا تقولين ؟

– لا أريد أن أراك ثانية يا "رتشارد" .

– "نورا" .. بربك !

– ما فائدة الاسترسال فيما نحن فيه ؟ إن هذه هي النهاية .. وداعا .

قال وهو يسمع صوت وضع السماعة في مكانها :

– انتظري دقيقة يا "نورا" .. "نورا" .. انتظري دقيقة . كان يريد أن يمضي في الكلام .. كان يريد أن يقسم لها أنه سيخبر "لوسي" ، ولتنتظر الممرضات والأطباء و"جويل" والمريض إلى ما شاء الله أن ينتظروا .

ولكن "جويل" اقتاده للقاء ذلك الرجل ناحل الجسم ذي القميص الأزرق الذي يجمع بين عيني شاب ولحية شيخ .

قال "جويل" :

– "رتشارد" هذا هو الدكتور "أوبرلن" الطبيب الشهير بـ"نيويورك" . الدكتور "تالبوت" .

والفى "تالبوت" نفسه ينطق ببعض عبارات التحية والمجاملة وهو لا يكاد يفقه ما يقول لفرط ما يتولاه من الذهول .

قال له الدكتور "أوبرلن" :

– لقد قرأت مقالك عن هذه العملية وأحب حضورها .. فهل لديك مانع من ذلك ؟

فأجاب "تالبوت" بدون أن يفيق من استغراقه :

– لا .. بالتأكيد لا .



كانت "نورا" جالسة بجانب آلة الهاتف شاخصة بعينيها الذاهلتين من النافذة إلى البناء المقابل وهي تنتظر رد وكالة تذاكر السفر بحجز مكان لها .

سوف تغدو حرة طليقة من جديد .

ملأت لنفسها كأسا بدون أن تشعر بوقع تلك الأقدام التي تصعد السلم مسرعة حتى توقفت ببابها .

وسرعان ما قبضت على مقبض الباب بكلتا يديها وراحت تدفع الباب بكل ما فيها من قوة حتى لا ينفتح .

ما الفائدة من السماح له بالدخول ؟ إنه لخير لها أن ينتهي الأمر عند هذا الحد ، وهيهات أن ينجح في تحويلها عما اعتزمت مهما ألح في التوسل والرجاء .

قالت :

- "رتشارد" .. لقد أخبرتك ..

- افتحي يا "نورا" بربك .

هالها ما يتمثل في صوته من الشقاء والإشفاق والجزع فتراخت أصابعها عن مقبض الباب وعادت إلى النافذة في ضعف وتخاذل .

قبض على كتفيها بشدة وهو يقول :

- أعطيني كأسا .

- ماذا حدث ؟

- بربك لا تسالي .. اعطيني كأسا .

فملأت كأسا قدمتها إليه فأخذها بكلتا يديه وتجرعها دفعة واحدة . ثم راح يمسح وجهه بيده كأنه يطرد صورة بغيضة مروعة وقال :

- العملية .. كدت أقتل رجلا لولا "جويل" .. لقد اضطربت يداي وعجزت عن السيطرة على نفسي ، ثم نسيت ما ينبغي عمله بعد أن بدأت !

فقالت له وقد تملكها الجزع :

- لقد كان حسبك ما تعانيه من الهم المبرح والألم الناصب ، ولكنك الآن لا تستطيع حتى القيام بعملك .

فأخذ يجيل عينيه الشاردتين فيما حوله وهو يقول :

– لست أدري ما دهاني .

– لم تنزل بك من كارثة سواي؛ إني سر بلواك . لقد تأخرت بعيادتك ذات ليلة لقيت فتاة ومنذ تلك اللحظة غدت حياتك فريسة للألم والعذاب .

فقال لها مشجعا :

– هذا ليس ذنبك .

– كفى .. ذنب من إذن ؟ لو لم أقتحم عليك حياتك لما أصابك شيء من هذا لكن آن لكل ذلك أن ينتهي فإني راحلة .

وبدا الاضطراب في نبراته وهو يقول لها :

.. راحلة ؟ راحلة ؟

– نعم .. وفي وسعك الآن أن تعود إلى مواعيدك وتفاملك ..

وقطع عليها كلامها رنين جرس الهاتف فتناولت السماعة قائلة :

– مرحبا .. أنا هي . المقصورة ج ؟

فهتف "تالبوت" مرتاعا :

– "نورا" ! إنك لا تستطيعين ! لن أدعك ترحلين ! .

– لقد أحدثت لك كثيرا من الأذى والشقاء ولا أحب أن أحدث أكثر من ذلك .

– إنك لا تفقهين ما تفعلين .. امنحيني مهلة قصيرة .

– مهلة لماذا ؟



– امنحيني يوما أو يومين فقط وسوف أتروى في الأمر وأجد وسيلة من الوسائل. سأفعل كل ما تشيرين به إذا رضيت بالبقاء .

أشاحت عنه "نورا" لتستأنف حديثها في الهاتف قائلة :

– ومتى يقوم ؟ .. نعم .. شكرا لك .

وضعت السماعة أخيرا وعادت إلى "تالبوت" قائلة :

– انظر – أيها الحبيب – ليس في وسعنا بعد اليوم أن نلتقي ، ولن أبقى بهذه المدينة مع الحرمان من لقائك . إني راحلة إلى "نيويورك" الليلة .

– إني أعرف – يا "نورا" – أنه لم يكن من اليسير عليك أن تجمعي على هذا العزم.

– من اليسير ؟ لقد كان متعة ! إن الزوجات لا يقدرن ما يفرطن فيه من السعادة والهناءة، ولا يعرفن أبدا للوحدة والوحشة معنى .. أما أنا يا "رتشارد" فإني الخليلة التي عليها أن تنتظر وتترقب ، وقد أعياني الترقب والانتظار .

- 6 -

كانت العيادة في تلك الليلة غارقة في سكون موحش بغيض و "رتشارد" جالس منذ ساعات يشخص بعينين ساهمتين إلى الورقة التي يريد أن يسطر عليها وداعا إلى زوجته "لوسي" .

لم تبق بفؤاده أثارة من حبها ، ولكنه – مع ذلك – لا يجد المهمة سهلة هينة ، فإنه ليودع مع "لوسي" ولديه وجانبا كبيرا من حياته .

وكيف يتهيأ لـ "لوسي" أن تشرح للولدين سبب تخليه عنهما ؟

لقد كان كل شيء يبدو له هينا لا عسر فيه ولا مشقة عندما كان مع "نورا" ، وإنه ليتمنى – من أعماق نفسه – لو كان في إمكانه الرحيل معها ، كان كل ما سلف من حياته لم يكن ، وإنه أهون عليه أن يختفي فجأة بدون أن يترك أثرا من أن يخط هذه الكلمات التي يعرف ما سوف يكون لها من وقع أليم .

لقد وعد "نورا" أن يلتمس حيلة من الحيل ، ولكن هاهوذا يجد نفسه وحيدا بعيادته نهبا للقلق والحيرة والاضطراب ، إذ يعلم أن مستقبل ثلاثة أشخاص رهن بما يوشك أن يخط من كلمات .

على أنه راح يختم رسالته الرهيبة أخيرا بقوله :

"لقد ظللت عدة أسابيع مضطربا حائرا لا أدري كيف أكاشفك بالحقيقة، ولقد ترويت طويلا وتدبرت العواقب كلها فلم أجد خيرا من هذا الحل ، وستكونين أنت والولدان في رغد من العيش ولن تمسكما الحاجة أو الحرمان ، وستجدين في خزانة مكتبي .." .

وكف عن الكتابة عند هذه النقطة وسار إلى خزانته ففتحها وأخرج درجها وراح يصف ما تحتويه من السندات وعقود التأمين على حياته، ثم أعاد إلى الدرج ما اعتزم تركه لأسرته، فمن الخير أن يأخذ الآن ما يعده لنفسه ول "نورا" . ووضع بعض تلك الأوراق بجيوبه عندما سمع طرقا خفيفا على الباب الخارجي، وكان لا يريد أن يقتحم عليه خلوته أحد فلم يجب ، ولكن الطرق تكرر فلم يجد مناصا أن يقول :

- نعم ؟

فتح الباب وأقبل "بيلي" شاحب الوجه في خطو واهن متخاذل وهو يتكبد مشقة في التنفس والاستواء على قدميه .وقال لاهثا :

- خشيت أن تكون قد انصرفت .

أجاب "تالبوت" وهو يشعر بأنه في حاجة إلى من يسعفه ويعنى به :

- إني أوشكت أن أنصرف بالفعل ..

فقال "بيلي" :

- قلبي ، إنه لم يكن قط في مثل هذه الحالة السيئة .

لم يكن "بيلي" من المتشائمين الذين يستسلمون إلى الجزع والهلع . واستجمع "تالبوت" إرادته المتفرقة المشتتة ثم قال وهو يشير إلى أحد المقاعد :

- اجلس .

تمتم المسكين :

- إني لا أكاد أستطيع التنفس . فطلب إليه "تالبوت" أن يلتزم الصمت والهدوء

فقد يتسع الوقت أمامه لحقنه قبل أن تعاوده النوبة إذا لم يستنفد قوته في الكلام .

رفع "بيلي" صوته قائلا :

- الألم ! الألم !

- سآتيك حالا ، شمر كمك .

وسرعان ما أخرج البطاقة الخاصة بتسجيل سير مرضه وألقى عليها نظرة سريعة ، وبينما هو يهيئ الحقنة إذ سمع صيحة ورأى "بيلي" واقفا يتعلق بالجدار، حتى لا يسقط ، وظل المريض لحظة يجهد قلبه في محاولة الوصول إلى الطبيب، ولكنه لم يلبث أن هوى إلى الأرض وهوت معه منضدة صغيرة عليها تمثال وقد خلا من جميع مظاهر الحياة .

وأسرع "تاليوت" إلى حقنه في ذراعه ووقف يترقب ظهور دلائل الحياة ، ولكن المسكين كان جثة هامدة .

ولعله كان في الوسع نجاة "بيلي" من الموت لو لم يقف .. ولكنه ما كان ليعيش على أية حالة أكثر من أشهر معدودات .

سار "تاليوت" إلى مكتبه وانحنى على بطاقة المريض ليخط آخر سطر فيها، وبذلك تتم القصة ويسدل الستار على آخر فصول رواية الحياة والموت .

الاسم : "والتر بيلي" .

السن : 43 سنة .

الطول : 182 سنتيمترا .



الوزن : 73.5 كيلو جرام .

ملاحظات : حالة خطيرة بالقلب .

وبينما هو يهم بتدوين ملاحظته الأخيرة إذ وقع بصره على بوليصة التأمين على حياته بجانب البطاقة :

الاسم : "رتشارد تاليوت" .

السن : 43 سنة .

الطول : 182 سنتيمترا .

الوزن : 80 كيلو جراما .

نفس السن ، ونفس الطول ، ونفس الوزن تقريبا !

راح يعجب لهذا التوافق الغريب وهو يرفع سماعة الهاتف ، لإبلاغ نبأ وفاة المريض وقال :

– أريد إدارة الشرطة .

وبينما هو ينتظر الرد إذ ألفى نفسه يتأمل الوصفين مفكرا .. لقد كانت تتسلل إلى خاطره فكرة دقيقة بارعة تكفل له الخروج من مأزقه الحرج ، وكانت تلح عليه إلحاحا أنساه من طلب التحدث إليه بالهاتف والباعث على هذا الطلب .

وسمع صوتا يقول :

– هنا إدارة الشرطة .. الضابط "كلانسي" .. آلو .. آلو ..

لم يجب "تاليوت" النداء وظل بصره عالقا بالبطاقة لا يتحول عنها ، وأخيرا أعاد السماعة إلى مكانها بدون أن يتكلم ، وقد لاحت على وجهه سمات العزم والاستقرار .

لقد وعدها أن يلتمس لمشكلتها حلا ، وهاهوذا الحل يسعى إليه طيعا هينا لا عسر فيه ولا مشقة .. وهو فضلا عن ذلك خير من كل حل كان يستطيع الاهتداء إليه بإنعام النظر وإعمال الروية وكد الخاطر .

تناول الرسالة التي كان يكتبها إلى "لوسي" ووضعها على منفضة السجائر ثم أشعل بها النار ، ثم وضع بطاقة "بيلي" بالملف ، ورد عقود التأمين التي كان يعتزم أخذها معه إلى الخزانة ، كما أعاد المنفضة التي أسقطها "بيلي" إلى وضعها ، ووضع التمثال الصغير في مكانه المعتاد منها .. وكان رأس التمثال قد انكسر عند سقوطه فألصقه به ولم يبق من آثار الكسر سوى شرخ طفيف لا يفطن إليه أحد .

ذهب إلى جثة "بيلي" ووقف يتأملها هنيهة ، ثم خلع خاتمه ووضعه بإصبع الميت.

وأكبر الظن أن لو رآه بعض من يعرفه إذ ذاك لأنكره ولخفي عليه ، فإنه منذ رد السماعة إلى مكانها لم يقطع الاتصال بمحدثه فحسب ، بل قطع كذلك كل ما بينه وبين ماضي حياته من الوشائج والصلات .

إنه فعل ذلك عندما استجاب لنداء فؤاده وأعرض عن واجباته كزوج وأب ، بيد أنه كانت لا تزال حينذاك شكوك ناصبة ممضة تتنازعه ونضال عنيف بين ماضيه وحاضره يضطرم في وجدانه . أما الآن ، بعد أن وضع تلك السماعة في مكانها، وبعد أن نقل الخاتم من إصبعه إلى تلك الجثة المسجاة ، فقد خطا الدكتور "رتشارد تالبوت" خطوة جريئة حاسمة لا سبيل إلى العدول عنها والرجوع فيها .

وما كان يجهل خطورة ما أقدم عليه ، بل لقد صادف من نفسه غبطة وارتياحا؛ إنه بذلك يبدأ حياة جديدة بدون أن تدري زوجته وولداه بما اقترف في حقهم من الخيانة والإثم . سوف ينتحل هذا الميت شخصيته ويخلع عليه اسمه فيصبح الدكتور "رتشارد تالبوت" ذكرى من الذكريات .

وكان ثمة عاملان يحفزانه إلى العجلة والإسراع : يجب أن ينفذ في هذه الجثة ما اعتزم ، ويجب كذلك أن يدرك "نورا" قبل أن ترحل إلى "نيويورك" ، فإنما يأتي كل هذا من أجلها ، وسيكون في وسعه إذا ما اجتمعا أن ينظر إلى ما تعرض له من الخطر بلا ندم ولا أسف . أما الآن فمن الخير أن يؤدي هذه المهمة على اعتبار أنها آخر ما يضطلع به الدكتور "تالبوت" ، وكلما صرف عنها تفكيره كان هذا أضمن لسرعة الفراغ منها، وألقى نفسه أخيرا يقطع بسيارته شوارع المدينة وبجانبه راكب صامت ، عيناه مفتوحتان .

كان الخطر الذي يكتنفه رهيبا هائلا ... وقد ركز كل قواه فيما كان يظن أنها المغامرة الأخيرة . ولما بلغ مشارف المدينة خفت حركة المرور وسنحت له الفرصة أن

يرتقي طريقا جبليا يشرف على الخليج ... وهنا خفت الضوء ، وتعذرت الرؤية وكاد الطريق يقفر من المارة . وعندئذ نقل الجثة أمام عجلة القيادة ، وهبط من السيارة ، وفتح أبوابها .. ثم أخذ زجاجة تحوي كحولا نقيا سريع الاشتعال فرفع غطاءها، ونثر ما فيها على السيارة من الداخل والخارج وعلى الجثة نفسها ، وأدار مفتاح تشغيل السيارة ، ثم أطلق العنان لكباحتها ، وأشعل فيها النار ، فازدادت سرعة السيارة وهي تندفع إلى الأمام ، ثم هوت في منحدر عميق ، وصارت شعلة من النيران .

امتزج القلق في نفس "رتشارد" بالغبطة والابتهاج والشعور بالفوز؛ كأنه يرى جميع متاعبه وآلامه تهوي إلى اليم مع سيارته . تعلقت السيارة في أثناء سقوطها بنتوء صخري في ذلك الجرف حيث ظلت لحظة تندلع منها ألسنة النيران حتى أمكن رؤيتها على بعد عدة أميال رغم الضباب ، ثم هوت إلى البحر .

كان الطريق لا يزال مقفرا ، وأخذ "تالبوت" يهنئ نفسه بما توخى – في إنقاذ خطته – من أسباب الحيطة والحذر، فلم يترك أثرا يبعث على الشك والارتياب ، وإذا به يلمح عند قدمه زجاجة الكحول ، وكانت أعصابه قد أرهقت إرهاقا شديدا فلم يعد في وسعه التدبر والتفكير ، ولو رؤي على بعد ستمائة متر من تلك الزجاجة لكانت العاقبة وبالا عليه ، فقذف بها في أول مجموعة من العشب عثر بها ، ثم اتجه مسرعا نحو المدينة مجتنبا الظهور للناس بقدر الإمكان .

وكان خليقا برجل دمث الطباع دقيق الحس مثله أن يشعر بشيء من توبيخ الضمير بعد الجلاء الغاشية ، ولكن عدم شعور "تالبوت" بشيء من هذا القبيل دليل على مدى افتتانه بـ"نورا" وفرط شغفه وهيامه .

لم يعد ثمة ما يفكر فيه سوى العودة إلى المدينة وإدراك "نورا" قبل أن ترحل إلى "نيويورك" ، فلو رحلت قبل وصوله لما كان أمامه بد من قضاء فترة وحدة حتى يلحق بها ، وهي فترة خليقة بأن تحفل بكثير من عذاب التفكير فيما فعل . أما إذا

لقيها فلن يأسف ولن يندم وسيكون في اجتماعهما خير الجزاء .

وبلغ أخيرا مرسى الزورق الذي يعبر الخليج إلى المحطة وقد أوشك أن يسير فأسرع إلى الهبوط إليه وراح يتفرس في الركاب . وانثنت "نورا" دهشة عندما مس ذراعها ، ووقف لحظة لا يستطيع أكثر من النطق باسمها .

- 7 -

وصلت "جادسون" إلى العيادة في موعدها تماما كعادتها ، ووقفت لحظة تنظر في أسى إلى البطاقة المخاطة بالسواد التي علقتها هي نفسها على الباب .

وكان مكتوبا بتلك البطاقة : "نظرا لوفاة الدكتور "رتشارد تالبوت" ستغلق العيادة إلى يوم الاثنين 15 أيلول (سبتمبر) " .

إن اليوم موعد افتتاح العيادة ، وسيتولى الدكتور "جويل موريان" أعمالها . ولما جاء كان يبدو عليه الوجوم والاكتئاب كأنه يحس بوطأة المسؤولية التي ألقيت على عاتقه .

وقالت الفتاة :

– أسعدت صباحا يا دكتور .

– أسعدت صباحا يا "جادسون" .

– ألا يخيل إليك أن فقيدنا لابد أن يحضر كعادته ؟

ولقد كانا معا لا يفتآن يذكران كرم خلق الدكتور "رتشارد تالبوت" ومقدار حذقه وبراعته على الرغم من انقضاء عدة أسابيع على وفاته .

قال "جويل" :

– أجل . متى يحل أول مواعيدي ؟

– في الساعة العاشرة .

– حسنا . . إن لديّ أشياء تتطلب الإنجاز والتصفية .

ولم يكد يلج مكتبه حتى دق جرس الهاتف ، وكانت المتحدثة ارملة زميله السيدة "تاليوت" .

- مرحبا "لوسي" .

- ارجو ألا أكون قد سببت لك شيئا من الانزعاج ولكني اضطررت إلى الاتصال بك .

- لا شيء من ذلك .. هل من شيء أستطيع القيام به ؟

- إني منزعجة قليلا ؛ فقد أرسلت إلى المصرف عدة حوالات ولكنه ردها بدعوى أن رصيدنا قد نفد .

تهتف "جويل" :

- نفد ؟ لا ريب أن ثمة خطأ ..

وأجابت "لوسي" في لهجة تشف عن الحيرة والارتباك :

- يظهر أن "رتشارد" سحب في العهد الأخير مبالغ غير قليلة ، وقد سحب مبلغا ضخما في يوم الحادث ذاته ، ولقد كان دائما ينبئني إذا جد ما يتطلب نفقات غير معتادة ، فهل تعرف عن هذا الأمر شيئا ؟ .

ولم يكن "جويل" يحب التدخل في مثل هذا الشأن ، ولكنه رأى أن التجاءها إليه أمر طبيعي ، فأجاب :

لا .. لا أعرف شيئا أبدا .. ولكنني سأبحث لعلي أهتدي إلى السبب ، وإذا كنت في حاجة ..



فأجابت على الفور :

- لا .. ليس هذا ما يقلقني ؛ فإن لدينا نقودا بحساب الادخار .. إنني لا أستطيع فهم هذه التصرفات .

قال "جويل" وهو يشعر بمثل حيرتها :

- لا تشغلي بالك بذلك ، فسأفحص الحسابات وأتصل بك فيما بعد .

واستدعى "جادسون" وسألها :

- هل هناك زيادة كبيرة في نفقات العيادة خلال الأشهر الأخيرة ؟

- لم يكن هناك شيء من ذلك بقدر ما أعلم . لماذا ؟ هل من أمر غير عادي ؟

تمتم "جويل" في ارتباك :

- لست أدري حتى الآن .

وظل جالسا إلى مكتبه بعد انصراف "جادسون" وهو يفكر فيما طرا على أحوال "تالبوت" من التبدل قبل موته بزمن غير طويل .

وحاول أن يهتدي إلى الصلة بين هذا التبدل وما تحدثت عنه "لوسي" من الزيادة الكبيرة في نفقاته .

لقد كان "رتشارد" دائما شديد الحرص دقيق النظام فيما جل وهان من شؤونه، وكان من العسير أن يختلط به "جويل" يوميا ذلك الاختلاط الذي تفرضه زمالتهما بدون أن يلم بالكثير من طباعه وأخلاقه ..

وقد كان في أحواله أخيرا ما يستوجب الملاحظة ويثير العجب .. فهنالك تأخره عن موعد العيادة في الصباح، وما يبدو عليه من دلائل الإعياء والحاجة إلى النوم، ثم ما تلا ذلك من اكتشاف جثته المحترقة بين حطام سيارته عند سفح الأكمة، وهاهوذا يسمع الآن أنه سحب في ذلك اليوم نفسه مبلغا كبيرا من المال .

إن زوجة "رتشارد" لم تكن تعرف إلا قليلا أو لم تكد تعرف شيئا عن كل هذا الذي طرأ على حياة زوجها ، وليس في وسع "جويل" أن ينظر إليه في اطمئنان .

وقصد إلى غرفة "رتشارد" وفتح بابها فخيل إليه أن شخصية زميله الراحل تملأ فراغها وتتخلل كل شيء فيها .

شعر "جويل" شعورا خفيا مبهما بأنه سيجد ما يميط اللثام عن هذه الأسرار المستغلقة التي تحيره وتقلقه .

وأزاح الستائر فغمر الضوء الغرفة، ووقف يقلب عينيه الناقدتين فيما حوله

متفحصا .

بدا له أن كل شيء بالغرفة كما كان من قبل تماما وكما تركه "رتشارد"، بيد أنه عندما استدار ليغادرها وقع بصره على ذلك الشرخ الصغير بعنق التمثال، وما كاد يمسه حتى انفصل الرأس في يده، ورأى حافة المنضدة التي عليها التمثال مقشورة فوضع التمثال على المكتب وجلس وراح يحدق إليه مفكرا .

أشعل سيجارة وأدنى المنفضة وإذا به يرى فيها قصاصة صغيرة مسودة من الورق عليها عبارات متقطعة يمكن قراءتها .

"لقد .. عدة أسابيع .. كيف أكاشفك .. وتدبرت العواقب كلها .. وستكونين والولدان .. رغد من العيش" .

كان الفراغ الذي بين الكلمات محترقا والكلمات نفسها يطمسها سواد الحريق، ولكن ما قرأه "جويل" كان كافيا لتكوين سلسلة متصلة الحلقات : حالته الفكرية، وأسرته، وأنباء غير سارة .

وقر رأيه أخيرا على أن مكان هذه القصاصة من الورق ليس هنا بل في إدارة المباحث الجنائية .

وبينما هو في طريقه إليها إذ عرج على المصرف وراجع حساب زميله الراحل، قال لرئيس إدارة المباحث :

- هذا هو كشف تفصيلي للمبالغ المسحوبة : اربعمائة .. أربعمائة .. خمسمائة .. وفي يوم الحادث ستة آلاف وخمسمائة دولار .

ولاحظ الرئيس أن الأطباء شديدو العناية بالحقائق لا يكاد يفوتهم شيء مما يقع تحت بصرهم . وسأل "جويل" :

- هل كان الدكتور "تاليوت" يقامر ؟

- إذا كان قد فعل شيئا من ذلك فإني لم أسمع به، ولكني أستبعد ذلك جدا .

- اليس لديك أي رأي فيما عساه أن يكون قد صنع بهذه النقود ؟

فأجابه "جويل" :

– نعم ليس لديّ شيء عما تذكر ، ولذلك لجأت إليك . إن ظاهر هذا الأمر يبعث في نفسي كثيرا من الشك والارتياب .

وسأله الرئيس :

– وكيف خلف أسرته ؟

– إنه لم يكن بالرجل الثري ، ولكنه ترك لأسرته ما يضمن لها سعة العيش.

فقال الرئيس وهو يتأرجح في مقعده :

– لا يمكن إذن أن يكون قد انتحر؛ لأنه خسر بضع مئات من الدولارات . لقد فهمت أنك تعرفت على الجثة فهل هذا صحيح ؟

– أجل، فإني لم أحب أن أجشم السيدة "تاليوت" ..

واحتبس صوته هنيهة؛ إذ غلبه التأثر، ثم أردف قائلا :

– أعني أن الجثة كانت محترقة تماما ولا يمكن تمييز معالمها .

– إني أقدر ذلك . ولكن بم استدللت على الجثة ؟

أجاب "جويل" في شيء من التردد :

– لقد كان هناك خاتمه ، وساعته ، وعدة أشياء أخرى .

– أشد ما أتمنى أن أعرف ما كان مكتوبا بتلك الورقة أو من الذي أحرقها . هل تظن أنه كان ضحية لبعض من يبتزون النقود منه بالتهديد ؟

فهتف "جويل" مشدوها :



– ابتزاز ؟

– أجل .

– وأية فضيحة كان يمكن إرهابه بإذاعتها ؟ لقد كانت حياته مثال الاستقامة والكمال .

فاعتدل الرئيس في جلسته قائلا :

– هذه هي طريقة هذا الصنف من المجرمين يا دكتور . إن الواحد منهم يكتشف سرا لا يعرفه سواه من الناس ثم يبيعه بأفدح ما يستطيع من الاثمان . وجريمة الابتزاز تجلو لنا كثيرا من الألغاز العويصة المستعصية التي بين أيدينا ، وفيها وحدها تعليل سحب تلك المبالغ من المصرف ، وما لاحظته من الهم والاكتئاب على صديقك الراحل في العهد الاخير ، وهذه الورقة التي احترقت ولم يبق منها غير قصاصة لا تشفي غليلا .

وبدت في وجه "جويل" الحيرة وإن لم يقتنع كل الاقتناع .

واستطرد الرئيس قائلا :

– ليس أمامي كثير من المعلومات والآثار التي تنير لي السبيل ، ولكني أؤكد لك أن الدكتور "تاليوت" لم يمت في حادث من حوادث القضاء والقدر بل راح – فيما يغلب على ظني – ضحية تدبير أثيم وجريمة متعمدة .

ثم وقف في عزم قائلا :

– إني ذاهب لمعاينة حطام السيارة وأوثر أن تذهب معي .



على بعد آلاف من الاميال في مدينة "نيويورك" العظيمة ، وبعد انقضاء عدة أيام على مقابلة الدكتور "جويل موريان" لرئيس مكتب المباحث الجنائية ، اقترب "رتشارد تاليوت" من أحد أكشاك بيع الصحف وعلى عينيه نظارة سوداء وسأل البائع :

– ألديك إحدى الصحف التي تصدر في "سان فرانسيسكو" ؟

– أيوافقك عدد يوم الأربعاء الماضي ؟

– نعم .

وانتحى "رتشارد" بالصحيفة جانبا وهو يعاني أشد القلق والإشفاق ، وليست له

سوى أمنية واحدة هي أن يطالعه نعيه بتلك الصحيفة .

ولقد كان النعي بها بالفعل تتوجه صورته :

"أقيم هذا الصباح بكنيسة "سانت لوك" الصلاة على الدكتور "رتشارد تالبوت" الطبيب الشهير بهذه المدينة ، وقد لقي مصرعه في حادث سيارة في الأسبوع الماضي ، وقد كان الدكتور "تالبوت" معروفا في الدوائر الطبية .." .

كان هذا أبدع ما قرأ في حياته كلها ، وما أحراه أن يدعي بعثا لا نعيا ، ولقد عانى ترقبه أشد العنت والإرهاق ، ولكن فترة الانتظار قد انقضت ، وأصبح في وسعه أن ينعم قليلا بالراحة والهدوء .

رفع نظارته السوداء، وأخذ يمسح جبينه وهو ينظر حوله كأنه لا يستطيع أن يصدق أنه غدا حرا طليقا . •

ولكنه لا يزال في حاجة إلى الاعتصام بالصبر والحذر حينا من الزمن ، وإن كان قد اجتاز المرحلة الخطيرة العصيبة.

طوى الصحيفة - حسبما تعود طوال حياته من النظام والعناية - وألقى بها في أحد صناديق الفضلات ، وكان الصندوق مملوءا إلى حافته فنظر "تالبوت" بطبيعة الخائف ليستوثق من استقرار الصحيفة به ، وإذا به يرى الصفحة الأخيرة معرضة للنظر وفيها صورة سيارة محطمة ، وسحب "تالبوت" الصحيفة حتى ظهر الخبر المنشور تحت الصورة :

"النائب العام يأمر بالتحقيق في مصرع "تالبوت" "

حدثت بعد ظهر اليوم مفاجأة أحدثت كثيرا من الدهشة؛ إذ أعلن النائب العام بمنطقة "سان فرانسيسكو" أن الظروف التي تكتنف مصرع الدكتور "رتشارد تالبوت" تدعو إلى الشك في أن الحادث الذي أفضى إلى موته كان عارضا. وكان قد أخذ الصحيفة عندما قرأ العنوان ، فكانت تهتز اهتزازا عنيفا في يده المرتجفة ، ثم انتزع الخبر وأعاد الصحيفة إلى الصندوق، وأخذ يتلفت مرتاعا ذات اليمين

وذات اليسار كما كان يفعل عندما وقف فوق الخليج والنار مشتعلة بسيارته في أحشاء الظلام ، ثم أسرع بوضع النظارة السوداء على عينيه والعودة إلى الفندق .

كان الفندق في بقعة هادئة شرق المدينة ، ولم يعرفه البواب أول الأمر وهو يضع على عينيه تلك النظارة السوداء ، وراح يحدق إليه ، وفي شيء من التردد رفع "تالبوت" نظارته فقال البواب :

- طاب صباحك يا سيد "طومسون" .

بيد أن "تالبوت" لم يكن قد ألف بعد اسمه الجديد ، فلم يرد التحية إلا بعد برهة ملحوظة ، ثم دخل إلى الفندق .

- 8 -

كان "تالبوت" قد وعد "نورا" بالاتصال بها في غرفتها فور وصوله إلى الفندق، ولكنه عاد مهموما مثقل الخاطر، فلقد تضاعف من حوله الخطر حين ظن أنه سينعم بالدعة والاطمئنان .

ولم يكن ثمة من يبثه نجواه ويلتمس عنده المعونة والمواساة؛ إذ إن "نورا" لا تعرف مما فعل شيئا ، فقد ظن أن لا حاجة به إلى إظهارها على ذلك مادام قد قطع ما بينه وبين الماضي من الصلات والأسباب .

ولقد ران على بصره ما أفرغ عليه اجتماعه معها من السعادة والهناءة ، وما يشغله من ترقب نتائج الكشف عن حطام سيارته ، فلم يكلف خاطره التفكير في أخطار بعيدة ليست في الحسبان .

كان يريد أن يعيش مجهولا في غمار العاصمة المزدحمة المترامية الأطراف ، وخال "سان فرانسيسكو" تبعد عنه بعد الأرض عن السماء ، ولكن ماهوذا يراها أقرب إليه من نفسه ، وماهوذا يرجف رعبا من تحقيق النائب العام.

إن عليه الآن أن يترسم خطى من تطاردهم العدالة وتجد في أثرهم ، ويحذق

أساليبهم في التخفي والاستتار ، وإن شاءت سخرية الأقدار أن يكون المطارد والطريد !

ولما سكن جاشه قليلا ذهب إلى الحمام وأخذ يزيل شاربه فسمع طرقا في المشى وقال مرتاعا :

- من هناك ؟

- إنه أنا أيها الحبيب . . هل أستطيع محادثتك لحظة ؟

- ليس الآن يا "نورا" . . سألحق بك بعد برهة يسيرة . فقالت مداعبة :

- هذا خليق بأن يشير الريبة والشك . لقد كنت أظن أنك ستدعوني فور عودتك !

وأجابها في حزم :

- إني آسف ، ولكن كان لديّ بعض الأعمال .

وسمعها تضحك قائلة :

- إذن سأذهب لارتداء ثيابي للعشاء .

وعاد إلى حلاقة شاربه وهو يتمنى لو كان في وسعه أن يمحو جميع آثار الدكتور "تالبوت" بمثل هذه السهولة واليسر .

ولما عادت "نورا" شغلها الاهتمام بثوب السهرة الجديد الذي ترتديه عن ملاحظة إزالة شاربه . وسألته وهي واثقة بإطرائه واستحسانه :

- ما رأيك في هذا الثوب ؟

كاد ينسى همومه وأتراحه حين أخذت تنثني أمامه ذات اليمين وذات اليسار ، لتعرض عليه الثوب من مختلف الزوايا ، فقد كان ذلك الثوب يبرز محاسن جسمها كما يبرز اللحن هذا المقام من كلمات فلم يزد على أن قال :

- إنه جميل جدا .

فقالت في مرح الحبيبة الواثقة بالصفح عن تبذيرها ؛ لأنها لم تقدم عليه إلا

لإرضاء حبيبها :

– لقد خرجت وابتعت عدة أشياء .. انتظر حتى تراها .

ولكن "رتشارد" ظل واجما لا يحير جوابا . ولم تعد تطيق صبرا على سكوته عن إطراء ثوبها الجديد فدنت منه ورفعت إليه عينيها متسائلة فقال :

– إنه جميل .

– أتراه لائقا ؟

– كل اللياقة .

وبدت على وجهها امارات الخيبة والألم فقالت :

– إن هذا الحديث ممل فاتر ولست اليوم كعهدي بك .

– حقا ؟

– ها ! لقد حلقت شاربك .. كنت أؤثر ألا تفعل؛ فقد كان يروقني منظره .

– إني آسف .. سأطلق لك شاربا آخر فيما بعد .

وخف اضطرابه أخيرا فاستطاع أن يوجه عنايته إلى ثوبها الجديد وقال :

– إنه جميل وأنت رائعة فيه .

فأجابته وهي تبتسم له ابتسامة مشرقة :

– ولذلك أحب أن تأخذني الليلة إلى ملهى "فيل دينار دو" .

وكان "رتشارد" لا يتمنى إلا أن تختار مكانا آخر غير هذا الملهى؛ فإن مجرد ذكر اسم "دينار دو" يثير في نفسه كثيرا من الغضاضة والنفور، فلقد كان واثقا بأن "دينار دو" يكن لـ"نورا" هوى شديدا مبرحا، وكانت "نورا" تعتزم العمل بملهاه إذا أخفق "رتشارد" في مغادرة "سان فرانسيسكو" . وفضلا عن هذا كله فإن لـ"دينار دو" صلة بغيضة بحياته القديمة وإن كان لا يعرف منه غير هيئته ووجهه .

كان "رتشارد" يشعر دائما بالغيرة تنهش فؤاده من "دينار دو" ، ولكن لديه الآن أقوى البواعث على تجنبه وتحاشيه .

واستطردت "نورا" بدون أن تفطن إلى اضطرابه :

- أجل . فلنذهب إلى ملهى "ديناردو" ولتفاجئه ، فما عساه أن يقول حين يجد أنني هنا ولم أزره ؟

وأجابها معترضا :

- ولكني أوثر الا نذهب .

- هيا يا "رتشارد" فسنلقى كثيرا من المتعة وساحجز مائدة . قال "تالبوت" في شيء من الحدة :

- لا أريد أن أراه ولا أريد أن تريه أنت، بل لا أريد أن أرى أحـــــدا ممن كنت أعرفهم في "سان فرانســــيسكو" . إن علينا - أيتها الحبيبة - أن نأخذ بأدق أسباب الحذر والاحتياط، وأن نلوذ بأذيال السكينة والهدوء حتى يصدر حكم الطلاق . ولست أحب بحال أن أذهب إلى مكان قد ألقى به من يعرفني .

وقالت في دهشة :

- ولكني لا أفهم لكل هذا معنى . إننا لم نأت عملا نخجل منه .

وأجابها مصرا :

- ولكننا قد نلتقي ببعض من لا نرغب في لقائهم، وتتلو ذلك أسئلة لا أحب الإجابة عنها . إنني طبيب يا "نورا" ولابد لي من الحصول على تصريح بممارسة مهنتي في "نيويورك" ، وهذا ينطوي على كثير من المصاعب التي لا تفهمينها، ولهذا انتحلت اسم "طومسون" إلى أن نسوي كل شيء .

ولكن "نورا" ظلت في حيرتها وارتباكها وقالت في هدوء :

- إنما أريد معونتك لا عرقلة مقاصدك بتطفلي ، ولكن الذي لا أكاد أفهم له سببا هو أننا لم نذهب إلى أي مكان مذ هبطنا العاصمة .

وحاول أن يسكن من قلقها وهو يعجب؛ إذ أصبح ولعها بالحياة وظمؤها إلى النهل من مواردها أعدى أعدائه، وقد كان ذلك أخص ما يميزها ويحببها إليه .

وقال :

- سنجد لذلك متسعا من الوقت فيما بعد . ولماذا لا نذهب إلى مطعم صغير كي نتناول العشاء ، ثم نذهب إلى إحدى دور السينما ؟ إننا لم نذهب قط إلى السينما معا .

فأشارت إلى ثوبها قائلة :

- ولكني لا أرتدي ما يلائم هذا البرنامج .

فأجابها :

- أعدك بأن تلبسي هذا الثوب في فرصة أخرى .

قالت وهي تهز كتفيها :

- لا بأس . سأرتدي ثوبا آخر .

تزايد شعور "تالبوت" بالوحشة، وتجاوز القصد في معاملته لما رآه في وجهها من آيات الألم المرير مع عجزه عن مصارحتها بما يحدوه على ركوب هذا المركب الخشن. وما كان يدري أن هذا الظل الطفيف الذي قام بينهما سوف ينمو ويتكاثف حتى يهدد حبهما ، هذا الحب الذي جازف في سبيله بكل شيء؛ فلقد ظلت الأسابيع الطوال مثالا للصبر والاحتمال ، وتقبلت في غير تبرم ضروبا من الحذر تبدو لها بدون ريب مسرفة لا موجب لها . ولم يأخذ صدرها يضيق بهذه الحال إلا بعد أن امتدت عزلتها بهذا الفندق الهادئ عدة أشهر .

وقد كانت تنفر من التستر والاستخفاء ، ولم تر أول الأمر شيئا غير عادي في تنكب "رتشارد" المحافل والمجتمعات؛ فلقد تخلى من أجلها عن بيته وأهله وعمله ، فمن الطبيعي أن تمر به فترة من الأسى والندم . وكانت تعتمد على رفقها وعنايتها به في إذهاب ما يعتاده من الندم ويعكر عليه صفوه من الشجن ، ولكن حالته لم تزد - على مر الأشهر - إلا سوءا وتفاقما .

إنهما أصبحا سجينين بهذا الفندق ، وليس من اليسير على فتاة كـ"نورا" -

كانت تحيي الليالي ساهرة بين الأضواء والحفلات - أن تسكن إلى هذه الحياة المقيدة .

كان نزوعها إلى الظهور أمام الناس في صحبة الرجل الذي ستقترن به حقا طبيعيا لا ينكره عليها أحد، ثم إن الأعذار التي كان يتحلها حبيبها في رغبته في التخفي والكتمان لم تكن لترضيها أو تقنعها؛ فلقد تخلت عن مقاومتها ومحاولة الرحيل عن "سان فرانسيسكو" إلى "نيويورك" للعمل بملهى "ديناردو" عندما أجمع "تالبوت" رأيه على اللحاق بها، ولكنها لم تتحمل قط ما كان يستحثها إلى ذلك المسلك ، وهو نفورها من كل خطة عوجاء تنقصها الصراحة والوضوح .

وإنه ليخيل إليها أن "رتشارد" يخجل من أن يراه أحد معارفه القدامى في صحبتها على الرغم من هذه الاعتبارات كلها ... وهيهات أن ترضى امرأة بمثل هذا الموقف الحرج والوضع الشاذ .

وهكذا انتاب القلق والاضطراب "نورا" كأنما سرى إليها ما يعتمل في نفس "تالبوت" من التوجس والخوف .

- 9 -

ازداد قلقها في النهاية شدة وظهورا حتى حمل "تالبوت" على محاولة التخفيف من أثقال حيطته وحذره؛ فلقد كان من العبث أن يجازف بكل هذا ، ثم تنحل عرى سعادتهما من قبل أن تبدأ .

وكان قد عاد من إحدى تلك الزيارات التي يقوم بها منفردا لذلك الكشك الذي تباع به صحف "سان فرانسيسكو" .. ولقد أغفلت الصحف الإشارة إلى الحادثة منذ أكثر من شهر ، ويظهر أن الظروف التي تكتنف موت الدكتور "تالبوت" كانت تدلف إلى زوايا الظلام ، وتأخذ طريقها إلى ملفات الأمور المنسية التي لم يجدوا لها حلا .

صمتها وعليه؛ إذ يضطرها إلى ذلك .. وهتفت :

– الصبر ! الصبر ! إن لنا هنا عدة أشهر بدون أن يجد شيء في حالتنا ، ونحن لا تذهب إلى مكان ولا نلقى أحدا أبدا، فإذا ما غادرنا الفندق لم نقصد إلا إلى مطعم حقير أو دار قريبة للسينما، بل إننا لا نستطيع أبدا أن نسير قليلا في وضح النهار .

لم يغضب "رتشارد" ؛ إذ قرأ في ثورتها عظيم ما كلفت نفسها من الصبر والاحتمال ، ولم يكن ثمة سوى جواب واحد ، ولكنه لا يجرؤ على النطق به .

تمتم وهو يوجه الحديث إلى نفسه أكثر مما يوجهه إليها :

– ربما أكون قد تجاوزت الحدود المعقولة في الاحتياط ، ولعلنا في غير حاجة إلى الجزع والإشفاق .

فبادرت "نورا" تشجعه :

– أجل .. ولم نخاف ؟ أتخشى أن يرانا أحد معا ؟ أي شيء نرهبه في ذلك؟

وسره أن تعود إلى نظراتها دلائل البشر والمرح ، وأخذ يذكر نفسه بإغفال الصحف كل إشارة إلى مسألته ، وقال :

– أتريدين الخروج الليلة أيتها الحبيبة ؟

فأجابته متحمسة :

– لأشد ما أتوق إلى بعض الحركة والنشاط بعد طول الركود والسكون ، وأريد أن أحس بالحياة مرة أخرى .

لقد كانت بهذا تعبر عما يجيش بصدره فأمسك بيديها قائلا :

– حسنا .. سآخذك إلى أي مكان ترغبين في الذهاب إليه، وسنخرج فور فراغك من تغيير ثيابك واستكمال زينتك .

ولم ير أحدهما الآخر منذ أسابيع في مثل ما غمرهما الآن من الطلاقة والمرح، ولم تكن "نورا" تأسف على شيء إلا ما لقيت من الجهد في حمله على هذا العمل الخفيف .

فلما دخل الغرفة أخذت "نورا" تتغظر من مقعدها حولها في استرخاء ، فقبل وجنتيها قبلة فاترة .

وسألته بدون اكتراث مشيرة إلى ربطة بيده :

- كتب أخرى ؟

أجابها بهدوء :

- نعم .. لقد جئتك بكتابين جديدين .

فقالت :

- لئن دام هذا طويلا فساغدو من أساطين العلم والأدب .

وقال مغيرا مجرى الحديث :

- أتحبين أن تشربي شيئا ؟ إني استطيع أن أحضر لك شيئا من الطابق الأول .

- هذا أمر لا نفع فيه ولا غناء .

كان التوتر الذي نشأ بينهما أخيرا يسمم هذا الحديث .

قال "رتشارد" :

- إني أعلم ما يكتنفك من السآمة والقلق ، ولكني بسطت لك السبب .

فأجابته في لهجة من يلقي قولا حفظه عن ظهر قلب من كثرة تكراره :

- أعرف ذلك .. يجب أن نلزم جانب الحرص حتى يتم الطلاق .. ولكن متى يتم ؟ إني أرى أنه كان يجب أن يكون لنا الآن بيت نعيش فيه كغيرنا من الناس، ثم عملك ؟ ألم يكن يخلق بك أن تفعل شيئا كالبحث عن مكان لعيادتك مثلا ؟ هل قدر علينا أن نقضي بقية عمرنا بهذه الغرفة من الفندق ؟

أجابها :

- إني أبغض ما نحن فيه يا "نورا" كما تبغضينه ، فياحبذا لو تحلقت بأهداب الصبر .

فانفجرت مصرحة بشكواها لأول مرة وهي ساخطة على نفسها لخروجها على

كان ملهى "ديناردو" صغيرا انيقا لا يختلف إليه غير طبقة محدودة من علية الناس . واستقبل رئيس الخدم "رتشارد" وصاحبته قائلا :

- هل حجزتما مائدة ؟

اجاب "تالبوت" :

- نعم ، باسم "طومسون" .

- "طومسون" ؟

فقالت "نورا" :

- إن السيد "ديناردو" على علم سابق بمجيئنا .

ظهر "ديناردو" على الاثر كأنها ضغطت زرا كهربائيا لاستدعائه ، وهو على ما عهد فيه من الرقة واللين والإغراق في التلطف والمجاملة ، وداخل "تالبوت" شيء من الغيرة وهو يتأمل ملامحه اللاتينية الوسيمة ، وعينيه النجلاوين الفاتنتين ، وهندامه المسرف في الاناقة والجمال ، بيد انه لم يكن يدري ما يستكن تحت هذا المظهر الذي تقتضيه طبيعة عمله من حسن الإخلاص والوفاء، وهو الامر الذي لم تكن "نورا" تجهله .

قال رئيس الخدم :

- إنهما يقولان إنك تعلم سلفا بمجيئهما .

فابتسم "ديناردو" مرحبا، وانحنى على يد "نورا" انحناء عميقا وهو يقول :

- إننا دائما في انتظار هذه السيدة الكريمة ولكنها قلما تاتي .

ثم قال لها في غير كلفة :

- كيف حالك أيتها الحبيبة ؟

اجابت في هدوء :

- على ما يرام يا "فيل" .. إنك رايت السيد "طومسون" من قبل .

- أجل .. كيف حالك يا سيدي ؟

- بخير .. شكرا لك .

فقال "ديناردو" :

- هيا إلى المائدة التي حجزتها لكما . كيف تجدان هذا المكان ؟

أجابت "نورا" وهما يسيران في أثره :

- إنه جميل جدا .

كان "ديناردو" يعامل "رتشارد" بأقل ما ينبغي من العناية والاحترام ، ووجه كل عنايته إلى "نورا" ، وانطلق يتحدث إليها و"رتشارد" يلاحظهما صامتا .

وقال لها وهو يتأمل ثوبها الأسود الأنيق ويتفرس في وجهها الذي أشرق بالسرور والابتهاج :

- إنك رائعة الفتنة كالعهد بك دائما . متى وصلت إلى "نيويورك" ؟

أجابته متلعثمة :

- منذ زمن .

فسألها دهشا :

- لا ريب أنك لم تتعجلي زيارتي .

- كان ثمة ما يدعو إلى هذا من الأسباب .

وبادر "رتشارد" إلى مقاطعتها قائلا :

- لا أحسب السيد "ديناردو" تعنيه شؤوننا الخاصة .

أجابت "نورا" :

- ولكن لا بأس من أن تخبر "فيل" بعزمنا على الزواج .

فقال "ديناردو" وهو لا يكاد يحسن كتمان عواطفه :

- تهنئتي لكما . لست أدعي أن هذا النبأ يسرني وأنت تعرفين السبب .

ثم التفت إلى "رتشارد" قائلا :

- إنك سعيد الحظ جدا يا "طومسون" .

حام حولهم رجل أشار إليه "ديناردو" فكاد "رتشارد" يصعق إذ رآه مصورا فوتوغرافيا . وسألهما "ديناردو" :

- ما رأيكما في أخذ صورة لنا نحن الثلاثة ؟

نهتف "تاليوت" :

- كلا .. كلا .. لندع ذلك إلى وقت آخر .

قالت "نورا" :

- إن ثمة قضية طلاق يا "فيل" يجب الفراغ منها أولا .

فقال "ديناردو" وهو يصرف المصور :

- فهمت . لقد ظننت أول الأمر أن ثمة جريمة سرقة أو قتل .

ولقد كان انزعاج "رتشارد" مسرفا حقا ، وقال في لهجة سريعة :

- بربك لا تعتقد أن عليك قضاء كل وقتك معنا ، فلا ريب أننا نشغلك الآن عن عملك .

فنهض "ديناردو" مطيعا هذا الإيحاء الجاف وقال :

- شكرا . إنني الليلة مشغول حقا . ثم قال لـ"نورا" بدون أن ينظر بعد ذلك نحو "رتشارد" :

- سأرسل الشراب على حساب الإدارة مع الحب والإخلاص .

ولما انصرف قالت "نورا" :

- إن ما فعلت لم يكن سائغا يا "رتشارد" .



فأجابها في حدة :

- لقد كان يسرف في الأسئلة .

- ولكنه صديق قديم لي .

- إني آسف يا "نورا" لقد جئنا هنا ابتغاء اللهو والسرور فلنأخذ فيما جئنا من أجله .

كان "ديناردو" قد أوحى إلى فرقة الموسيقى بتوقيع لحن تحبه "نورا" وتؤثره، وهو

اللحن الذي كان يعزف في تلك الليلة التي قصد فيها "تاليوت" إلى الملهى في "سان فرانسيسكو" ليلتقي معها . ولما دلفا إلى حلقة الرقص تلاشت تلك السحابة من سوء التفاهم وقالت "نورا" في رقة :

- أتذكر ؟

اجاب "رتشارد" :

- نعم أذكر .

وراح ينظر في عينيها لأول مرة منذ أسابيع وهو يضمها إليه بشدة ، وغمرتهما نشوة من السعادة والمرح أنستهما كل ما حولهما .

وبينما كانا في هذه النشوة إذ هما يصطدمان براقصين آخرين .

وكان الرجل متوسط العمر بادي الجد ، ولكنه استقبل اعتذار "رتشارد" ضاحكا غير مستاء ، بيد انه لم يستأنف الرقص بل وقف ينظر إلى "تاليوت" كأنه يحاول ان يتذكر اين رآه قبل ذلك .

وقال في نفسه اخيرا : « لا استطيع ان اذكر ، ولكني واثق بانني رأيته قبل ذلك في مكان ما » .

كان الرجل مصيبا ، فإنه ذلك الطبيب الشهير الذي قصد من "نيويورك" إلى "سان فرانسيسكو" ليشهد آخر عملية اجراها الدكتور "رتشارد تالبوت" .

وأدار إليه "رتشارد" ظهره وهو يكاد يجر "نورا" جرا قائلا في خشونة غريبة :

- هيا .. إننا منصرفان .



- 10 -

عادا إلى الفندق في صمت ووجوم، ولكن "رتشارد" كان مخطئا أشد الخطأ إذا كان قد جال بخلده أن هذا الحادث يمكن أن يمر بدون تعليل أو اعتذار؛ فلقد حدث و"نورا" في غمرة السعادة والابتهاج فكان من الطبيعي أن يحدث بنفسها

أثرا شديدا محطما، وحسبها أن تدفع إلى مغادرة الملهى دفعا لا رفق فيه ولا مجاملة قبل أن تودع "ديناردو" الذي لم يكن في مسلكه حيالهما ما يؤخذ عليه .

كلا .. إنها لا تحتمل ذلك ولو من "رتشارد" .

ولما دخلا غرفة الجلوس وقف وفي عينيه تلك النظرة المضطربة اليائسة التي طال عهدها بها في الأسابيع الأخيرة وقال :

- إني آسف؛ إذ أفسدت عليك هذا المساء ، وسأعوضك عنه خيرا في فرصة أخرى سعدت مساء .

تولتها الدهشة والعجب؛ إذ رأته يعد الأمر منتهيا عند هذا الحد ويرى في ذلك الوعد الغامض المبهم أوفى جزاء لها على خروجهما المتعجل وتبديد ما كان يغمرهما معا من السحر والافتتان في أثناء الرقص .

كان هذا وحده خليقا بأن يثير في نفس "نورا" من النفور والاستياء أكثر مما أثاره الحادث نفسه ، فلئن كان في وسعه مثل هذا الإغفال لعواطفها ومشاعرها في وقت يعلم فيه مقدار اهتمامها به واحتفالها به ، فإن الأمل في أن ينعما معا بالسعادة ضعيف واهن .

ولقد كانت كثيرات من النساء يرين أن لهن الحق في معرفة الباعث قبل مغادرة الملهى ، ولا ينتظرن في صمت مثل "نورا" حتى يتفضل من تلقاء نفسه بالشرح والإيضاح . بيد أنها عندما رأت أنه لا ينوي أن يفعل شيئا من ذلك رشقته بنظرة فيها من العطف والحنان أكثر مما تحويه من النفور والاستياء . ولكن هدوءها كان يشف عن عزم لا يلين ، وقالت :

- لماذا الخوف والهلع من ذلك الرجل ؟

فأجابها في هدوء :

- ألا يمكن إرجاء الحديث إلى الغد ؟ إني أشعر بصداع أليم .

وقالت "نورا" :

- نعم .. لابد من ذلك الآن !!

وهم بالاعتراض والاحتجاج ومغادرة الغرفة ولكنه لم يلبث أن وقف حيث هو .
وقال بدون أن يحاول تجنب نظراتها كما كان يفعل :

- لقد كذبت عليك في كل شيء ، وطالما أردت مكاشفتك بالحقيقة ولكني لم أكن أجد إلى ذلك سبيلا . هاتذي ترين أنه ليس في وسع جثة هامدة أن تمشي بين الناس حيث قد تلقي بعض الأصدقاء السابقين .

ولكنها ظلت برهة معقودة اللسان عاجزة عن النطق ، وقد هالها ما ينطوي عليه هذا النبأ من المعاني والاحتمالات . إنها لم تكن تتوقع قط مثل هذا الإيضاح الخطير الرهيب ، ومن السهل عليها الآن أن تفهم سر ما في مسلكه من الغرابة والشذوذ، وأن ذلك لم يكن مبعثه الغدر والنكث بعهدها بل لقد تبينت مدى ما يقع عليها من المسؤولية فيما أقدم عليه ، فلا سبيل بعد اليوم إلى التفكير في التخلي عنه ولو فتر حبها له فإنهما في هذا الأمر معا . ولكن إلى أي مدى دفع به حبه لها وهيامه بها ؟

وسألته إذ هالها شك مريع قام في نفسها :

- من الرجل الذي كان بالسيارة ؟ وكيف مات ؟

فأجابها في لهجة أبعد ما تكون عن لهجة القاتل الآثم :

- إنه يدعى "بيلي" وكان أحد مرضاي .



فقالت في اضطراب :

- "رتشارد" ! إنك لم ...

فقال في تفكه مرير :

- كلا لم أقتله ، إذا كان هذا ما تقصدين . لقد مات في عيادتي بنوبة قلبية.

واستطردت "نورا" قائلة :

- إني أريد أن أعرف الحقيقة . لماذا أشاع في نفسك مرأى ذلك الرجل الرعب

والهلع ؟

أجابها في صراحة :

– إنه طبيب سبق أن التقيت معه في "سان فرانسيسكو" فخشيت أن يعرفني.

– لا أصدقك .. إن ثمة أمرا تطويه عني وأحب أن أعرفه !

بيد أنه لاذ بالصمت، فقالت وهي تنثني عنه :

– حسنا .

وسارت نحو الباب مترددة وهي تتمنى أن يستوقفها ويبثها ما يعتلج في صدره ويأتمنها على مكنون سره مهما يكن لذلك من العواقب والآثار .

وهتف "رتشارد" فجأة :

– انتظري .. تعالي هنا .

وأخذها إلى غرفته حيث أخذ حزمة من القصاصات من تحت طبقة من ثيابه وقدمها إليها في صمت . وما كادت ترى صورته وصورة حطام السيارة وتقرأ نبأ موته حتى سرت في جسمها قشعريرة هائلة وشعرت بالدم يجمد في عروقها .

نظرت إلى "رتشارد" . لم يعد به شيء من الجزع والاضطراب فقد شعر بأنه قد رفع عن كاهله عبئا مرهقا ثقيلا بمقاسمتها سره .

فاعترضت عليه وهي تشير إلى القصاصات قائلة :

– وخاتمك وساعتك ومفاتيحك ؟

فأومأ برأسه قائلا :

– نعم .. تلك أشيائي حقا، ولقد استطعنا بذلك يا "نورا" أن نرحل معا .

فدنت منه وجلست على ذراع مقعده ووضعت يدها على ساعده .

واستطرد يقول في لهجة الطفل الذي يقص حلما كريها :

– كدت أجن في ذلك اليوم؛ فلقد كتبت إلى "لوسي" رسالة أصارحها فيها بكل شيء، ولكني لم أجرؤ على إرسالها ، وعند ذلك أقبل "بيلي" .

فقالت "نورا" وهي ساخطة على نفسها؛ إذ اضطرته إلى الإفضاء إليها بسره الرهيب :

– لقد توسلت إليك كثيرا أن تتخلى عني وتدعني وشأني ولكنك أبيت إلا أن تتشبث بي ، وقلت إنك ستجد وسيلة من الوسائل وهاأنذا قد وجدت الوسيلة حقا. وزاد حزنها وشعورها بمسؤوليتها التفكير فيما تجشم من الألم حين كان يحاول مخادعتها وكتمان الحقيقة عنها .

وقالت في استخذاء :

– كيف أمكن أن تتوقع النجاة من عواقب هذا العمل الخطير ؟ سوف يكتشفون الحقيقة إن عاجلا أو آجلا ، أليس كذلك ؟

أجاب في سذاجة الرجل الذي لم يتعود الحيل والخداع :

– لم يكن هذا اعتقادي، ولكنني الآن غير واثق بحسن المآل . لقد بدأ التحقيق في الحادث ولكن ليس ثمة نبأ عنه فقد كنت أراقب الصحف كل يوم .

– ولكن "بيلي" ؟ ألا يحاول رجال الشرطة الوقوف على ما حدث له ؟

فقال يطمئنها :

– إنه كان يعيش وحده خاليا من الأهل والأصدقاء ، وإني لأرجو ألا يخطر لهم وجود أي صلة لي باختفائه .

فقالت له :

– أنت ترجو ولكنني أفهم الآن كل شيء .

ثم بدأ شعورها بانهيار أملها في حياة زوجية سعيدة يحز في نفسها فأردفت :

– لن تستطيع أن تعمل كطبيب ، ولن أستطيع أن أصير زوجة لك . لقد تبددت آمالنا كلها .

فقال لها :

– إني أعلم أني أفسدت أمرنا إفسادا لا سبيل إلى تداركه ، ولكنني كنت أحسب

أن هذه المغامرة ستفضي بنا إلى ما نحبه ونرجوه .

وكان صوت الحكمة والعقل يحفزها إلى التنكر له وقطع كل صلة به في الحال، ولعل في هذا إرضاء لهما، ولكن ما يتمثل في نظرات "تالبوت" من الصدق والإخلاص كان أقوى في نفسها من كل حجة ودليل فقالت في هدوء :

- حسنا .. سنحاول إنقاذ الموقف حسبما نستطيع ، وسأبحث غدا عن عمل؛ إذ ليس في وسعك أن تقدم على أية مجازفة .

قال في عجز وخنوع :

- "نورا" : إنك لن تتركيني . أليس كذلك ؟

فقالت في دهشة :

- أتركك ؟ لا .. فما فعلت هذا كله إلا من أجلي ، وعلى كل حال سنواجه معا ما تأتي به الأقدار .

وكانت يدها لا تزال مستقرة على ساعده فقبلها كأنه لا يجد وسيلة أخرى للإعراب عن شكره وامتنانه .

- 11 -

كانت الحياة - حتى في ذلك الفندق المنعزل المتواضع - تتطلب نقودا ، فقبلت "نورا" العمل كمغنية بملهى "ديتاردو" وهو العمل الذي طالما عرضه عليها . ولم يخب ظن "نورا" في وفائه وكياسته؛ إذ لم يحاول قط أن يسأل عن شيء مما تؤثر كتمانه .

أما "رتشارد" فقد ظل سجينا بالفندق ، وليس لديه ما يشغله سوى الاستسلام للاضطراب والقلق والأسى ، خصوصا حين رأى تلك الحياة الحرة التي كان يطمح إليها ويمني نفسه بها قد باتت بعيدة عنه بعد نجوم السماء ، فما كان في الحق أقدر من "نورا" على حياة التخفي والظلام .

لقد كانت جريمته تشويه جثة "بيلي" الذي قضى نحبه بأسباب طبيعية ، وإضفاء اسمه وشخصيته عليها . وما كانت هذه الجريمة إلا شيئا ضئيلا لا يكاد يذكر إذا قيست بما تزخر به الصحف كل يوم من أنباء الشر والإجرام .

فليس لـ"بيلي" من الأهل من يروعهم اختفاؤه ، ولقد لقي مصرعه على يد الطبيعة لا على يده .

بيد أن ثمة فئة من الناس يحسن بهم أن يتنكبوا سبيل الجريمة في مختلف صورها ودرجاتها ، و"رتشارد تالبوت" من هذه الفئة . ولقد كانت حياته قبل أن يعرف "نورا" بريئة من الشوائب ليس فيها ما يمتد إليه سلطان القانون في أخف أوضاعه ، ومن الطبيعي أن تبهظه وطأة مركزه الراهن ، وأن يضاعف من إحساسه بهذه الوطأة ما اقترف في حق زوجته وولده .

ولم يكن ثمة ما يشد عزمه ويسكن ألمه ويحثه على الصمود والاحتمال غير وجود "نورا" بجانبه ، ولكنها الآن قد عادت إلى العمل وكثيرا ما تتغيب في أثناء النهار لحضور "البروفات" وتنفق الليل بملهى "ديناردو" ، وهكذا حرم معظم اليوم مما كانت تبثه في نفسه من الشجاعة والعزم .

وقد حيل بينه كذلك وبين الانصراف إلى العمل كطبيب أصبح العمل جزءا من وجوده ، فلم يبق أمامه غير انتظار تلك الأوقات القليلة التي تؤنسه فيها "نورا" بحضورها ، وحري بهذا كله أن يحطم رجلا أصلب من "تالبوت" عودا وأشد مراسا .



أخذت هوة الضائقة تزداد على مر الأيام شدة واستحكاما ، ولجأ "تالبوت" إلى الشراب لينفس عن كربه حتى تمكن منه سلطانه شيئا فشيئا ، وكان الحصول عليه سهلا ميسرا ، فليس عليه إلا أن يقرع الجرس للخادم فيجد الشراب بين يديه في غرفته .

لم يعد ذلك الرجل الذي قال لـ"نورا" – وهو يعالج ركبتها – إنه يحتفظ بقليل

من الشراب للأغراض الطبية ، بل كان يمثل وحده بين جدران غرفته مأساة رهيبة يصطرع فيه الشغف الجديد والمبدأ القويم القديم، وإن كان الأول لا يفتأ يتقدم في طريق الانتصار، وكان أيضا من بواعث إحساسه بالإثم والعدوان .

ثم أخذ يفقد بالتدريج شعوره بالكرامة وحرصه عليها ، وظهرت آثار ذلك أول ما ظهرت في سمته وهيئته؛ إذ بات يكره أن يفكر في مظهره حتى من أجل "نورا" .

تحولت عواطفه عن "نورا" إلى وجهة الغيرة ، لا من "ديناردو" فحسب بل ومن تلك الحياة التي عادت إليها والتي كانت تحياها قبل أن يلتقيا؛ فقد كان يتعذب عذابا شديدا في التفكير فيمن عساها أن تلقاه من الناس بعيدا عنه .

إن العالم حافل بالذين لا يكتمون سرا ولا يخشون شيئا ، وهم يرونها في أوج نشاطها ومرحها ، أما هو فلا يراها إلا بعد أن ينهكها العمل ويستنزف قواها . أجل إنها تحيطه ببالغ الحب والرعاية ، ولكنه لا يشعر في حضرتها إلا بأنهما يجاهدان معا تيارا عنيفا ثائرا .

احتدمت نيران الغيرة في فؤاده ذات يوم؛ إذ قرأ الفقرة التالية بإحدى المجلات الفنية: "هل لاحظت تألق عيني "فيل ديناردو" عندما تغني "نورا برنتيس" ؟"

وسرعان ما تناول الهاتف واتصل بملهى "ديناردو" قائلا :

– أريد محادثة الآنسة "نورا برنتيس" .

بيد أن الجواب لم يكن مرضيا فصاح مغضبا :

– ابحث عنها؛ إذ لا يهمني أن تكون مشغولة بـ"البروفة" !

فلما أقبلت "نورا" إلى الهاتف لم يجد ما يستطيع قوله لها فاكتفى من ثورته الصاخبة بإعادة السماعة إلى مكانها وطلب كأسا أخرى .

عادت "نورا" بعد انتهاء "البروفة" إلى الفندق حائرة متهالكة ، وكان "رتشارد" لم يحلق ذقنه ولم ينظم شعره، وراعه ما في عينيها من لوم صامت وعتب حبيب

وإن لم تفه بحرف فقال :

- ما أحسبك تزعمين أنك أنفقت نهارك كله في البروفات .

فأجابته :

- إنه عرض جديد وثمة كثير من العمل .

فقال ساخرا :

- في وسعي تقدير ذلك .

فقالت في هدوء آلمه وأمضه :

- إنني لم أختر لنفسي هذا النوع من الحياة يا "رتشارد" ، أفلا يجمل بنا - وقد ألجئنا إليه - أن نتحمله في دعة وسكون ؟

- حسنا .. وما رأيك في العشاء ، هل تتناولين الطعام معي الليلة ؟

- لا أستطيع ذلك الليلة ، فإن عليّ أن أرتدي ثيابي وأعود إلى الملهى .

فقال متذمرا :

- ومعنى هذا أنه ينبغي أن أتناول الطعام وحدي مرة أخرى ، وإنه لأمر بغيض بهذه الغرفة الضيقة .

- إنني أنفق معك أكثر ما أستطيع إنفاقه من وقتي .

ورأى في هذه الكلمات سخرية تثير الضحك والأسى معا ، فلقد ذكرته شكواها في "سان فرانسيسكو" من مضاضة الوحدة والانتظار . إنه الآن هو الذي يعاني مضاضة الوحدة والانتظار ويعيش من كدها ولا يراها إلا فيما يسمح به عملها من فترات . وهنا طرق الباب فسألها "رتشارد" :



- من هذا ؟

وكان يعلم أنها ستتظاهر بعدم ملاحظة ما ناله من الفزع، وسارت نحو الباب وهي تتكلف التؤدة والتمهل؛ لكي تبعث في نفسه القلقة شيئا من الاطمئنان .

وأعطاها غلام ربطة صغيرة وإيصالا وقعته وأعادته إليه .

وسألها "تالبوت" محتدا :

– ما هذا ؟

فتمتمت وهي تمزق الغلاف :

– ستعرف لو أمهلتني حتى أفتحها .

فتحت الربطة وأخذت منها بطاقة زيارة، فدنا منها "رتشارد" فقالت :

– إنها من "فيل" .

– هذا ما توقعته .. أريني إياها .

اختطف العلبة الصغيرة من يدها وهي لا تملك نفسها من الدهشة . ولم يكد يرى ما بها حتى صاح مهتاجا :

– إنها هدية صغيرة كبيرة الثمن ! لماذا يرسل إليك هذه الحلية ؟ إن الرجل لا يقدم للمرأة حليا إلا . . .

فقطعت عليه الاتهام متحدية :

– إلا لأنه كريم مهذب .

فهتف وهو يكاد يتمزق غيرة :

– لا يكون الرجل كريما إلا لعلة ، ولا ريب أن هذا الدبوس قد كلفه ألف دولار. وأغلب الظن أنها لو قابلت الثورة بمثلها لخفت حدة اهتياجه وانفعاله ، ولكنها لم تغضب ولم يفارقها هدوءها بل وقفت تنظر إليه عاتبة عليه رأيه . لقد كانت تعلم ما يبهظه من أثقال الوحدة والانقباض ، ولقد كانت تعلم أنه يكابد حزنا مريرا من اضطراره إلى الاعتماد عليها ، وليست هذه الثورات الجامحة الطائشة إلا المظهر الخارجي لما تنطوي عليه نفسه من صفات نبيلة ضلت سواء السبيل .

جاهدت نفورها واستياءها وقالت :

– سأعيده إليه ، أفيرضيك هذا ؟

- أو تحسبينني مغفلا ؟ أتظنين أني أجهل ما يدور بينكما ؟

قالت في ضعف وكلال :

- دع هذا التلاحي بربك يا "رتشارد" .. إنني متعبة ولا يزال أمامي كثير من الأعمال فدعني أخرج الآن .

كان حنقه على نفسه يشتد ويزداد ، فلقد ساءه أن يعلم أنه المخطئ دونها ، وأن استمرارها في البقاء معه أكثر مما يستحق منها أو من أية امرأة سواها ، ولو هبطت إلى مستواه وأجابته برد خشن أو كلمة نابية لاستطاع أن ينتحل لنفسه عذرا في جوره وتجنيه .. ولكنه - مع ذلك - ينقم منها هدوءها ورباطة جأشها؛ إذ يشعر بأنه وحيد فيما يلقى من الجهد والبلاء .

وبينما هي تنثني للانصراف إذ قبض على خصرها بقوة فانكمشت مرتاعة ، وقال في صوت أجش غليظ :

- ماذا دهاك ؟ هل أخيفك إلى هذا الحد ؟ إني لم أكن أخيفك فيما مضى من أيامنا !

وكان طبيعيا أن يسترسل في خطبته العوجاء ومسلكه النابي؛ فلقد رماها بالنفاق والخيانة ، فلم يبق غير نوع واحد من الإهانة لكي تتم السلسلة ، وهاهوذا يقدم عليها؛ إذ ضمها إليه بوحشية وقبلها على الرغم منها .

تخلصت منه بعد بضع ثوان ، وراحت تنظر إليه في ازدراء عنيف ساحق ثم قالت :



- هل انتهيت ؟

توالت على ذهنه موجات صاخبة متعاقبة من تأجج الهوى والخجل مما فعل ، ثم خطا إلى الأمام وصفع وجهها .

جمدت "نورا" في مكانها لحظة ، ثم اندفعت راكضة إلى غرفتها .

ووقف "رتشارد" أمام بابها المغلق يهتف باسمها في ألم وهو يسمع نشيجها .

- 12 -

كان آخر رواد ملهى "ديناردو" يغادرونه عندما جلست "نورا" بمقصورة زينتها تزيل مساحيق الزينة ، وسمعت طرقا على الباب وصوت "ديناردو" فأذنت له بالدخول .

قال وهو يجلس :

– لا ريب أنك متعبة .

– قليلا .. كيف الحال الليلة ؟

– على ما يرام بفضلك ولكن هناك شيء واحد أفسد عليّ صفو هذا المساء .

– ما هو ؟

– ذلك الدبوس . لماذا لم تتحلي به ؟

– لقد كنت راغبة في ذلك لولا أن هناك ما يمنعني ، ولا أكتمك أنني لن أستطيع قبوله .

– لماذا ؟

– إني أعاني عناء كثيرا ولا أحب أن أزيد الأمور سوءا .

وكان هذا إيضاحا أو تعليلا لرغباتها وتصرفاتها ، ففكر قليلا في رفضها بدون أن يغضب ثم قال :

– لقد عرف كل منا الآخر منذ عدة سنوات ولكنني لم أحاول أن أنال منك شيئا؛ لأن المرء لا يحاول مثل هذا مع الفتاة التي يريد أن يتزوجها .

كانت نبرات صوته تشف عن الصدق والإخلاص فقالت "نورا" :

– بربك يا "فيل" .

فقال لها :

– ولكنني أعني ما أقول ، وما تجهلين أنني أحبك منذ زمن طويل .

فبدا في عينيها من الرقة والحنان ما يكذب الكلمات التي كانت تهم أن تلقي

إليه بها ، وقالت :

– إنك فتى ظريف جدا ولكن ..

قطع عليها كلامها صوت لاذع ينبعث من عند الباب قائلا :

– ما هذا ؟ "أبروفة" أخرى ؟

فالتفتا معا إلى "رتشارد" وقد أضفت الدهشة على حركتهما معنى الفزع والشعور بالإثم . وكان في وجه "رتشارد" الذي نما به الشر وفي نظراته الشاردة الملتهبة ما ينذر بالويل والشر .

قال "ديناردو" ناظرا إليه بدون أن يقوم عن مقعده :

– هون عليك يا "طومسون" فليس في الأمر ما يغضبك .

وكان "تالبوت" يحملق إلى "نورا" ثم صاح بها :

– اخرجي ! .. اتركي هذا المكان !

مكثت "نورا" مكانها، إذ لا يسع امرأة لها شيء من الكرامة أن تخضع لمثل هذا الأمر . ونظر إليها "ديناردو" يشجعها، ثم وقف والتفت إلى "رتشارد" وقال في صوت أقل رقة ولينا :

– انتظر لحظة .. إن المكان ملكي ، وقد جرت العادة بأن أكون أنا الذي يقذف بالدخلاء إلى الخارج .

فصاح به "تالبوت" :

– تجنب "نورا" .. إنني أنذرك .



وأجابه "ديناردو" :

– يلوح لي أنك أسرفت قليلا في الشراب يا صاح ومن الخير أن تذهب إلى الخارج .

وقصد إلى "رتشارد" وأخذ بذراعه ليقوده لا ليرغمه على الخروج . وأدركت "نورا" ما يوشك أن يحدث ولم يتسع أمامها الوقت لتلافيه؛ فما كاد "فيل" يقبض على ساعد "رتشارد" حتى صفعه هذا صفعة قوية اشتبك الرجلان بعدها في صراع عنيف

بلغت ضجته مسامع الخدم والعمال ، وسرعان ما هوى "ديناردو" إلى الخلف، واصطدم رأسه بالموقد في أثناء سقوطه فظل ممددا على الأرض لا حراك به .

سمعت "نورا" وقع أقدام مسرعة في المشى فصاحت بـ"رتشارد" وهو يحملق إلى "ديناردو" بذهول :

– اخرج ! .. ستأتي الشرطة ! اخرج !

جرى "رتشارد" في المشى حيث تخلص من اثنين من الخدم واندفع إلى باب الخروج . ولما أوشك أن ينفذ من الزقاق إلى الشارع رأى شرطيا ، وكان هذا كفيلا بأن يملأ نفسه رهبة وذعرا ،فجمد في مكانه بدلا من أن يبادر إلى تجاوزه قبل أن ترتفع الأصوات بالاستغاثة ، فلقد ظل عدة أشهر يرهب المطاردة ويخشاها ، وهاهوذا الآن يجد نفسه في غمارها .

كر راجعا ولكنه رأى الخدم مجتمعين عند الباب ، وهنا لمح سيارة "ديناردو" فأسرع إلى ركوبها وانطلق إلى الشارع .

ولم يكن يسمع مع ضجة المحرك سوى صفارات الشرطة كأنها مجموعة موسيقية توقع لحنا مركبا ، وراح يقطع الشوارع التي كادت تقفر من المارة في شكل مريب حمل إحدى سيارات نقل البترول على اقتفاء أثره ، فأطلق للسيارة أقصى سرعتها ، وأدار رأسه لينظر خلفه ، فلما التفت إلى الأمام ثانية لم ير الطريق خاليا ممتدا أمامه بل أبصر سيارة نقل ضخمة تقبل عليه مسرعة ، ولم يلبث أن شعر بنفسه في غمار عاصفة من الزجاج المتناثر واللهيب المندلع .



- 13 -

كانوا قد أذنوا لـ"نورا" بمقابلته قبل إجراء العملية الجراحية ، وما إن خرجت من عنده حتى استقبلها رجلان من الشرطة ، ودنا منها أحدهما قائلا:

– إني آسف على إزعاجك يا آنسة "برنتيس" ، ولكن لابد لنا من إلقاء بضعة

أسئلة عليك ، ولقد تحدثت إلى السيد "دينياردو" ولكنني لم أقف منه على شيء . ما سبب تلك المشاجرة ؟

أجابته على الفور :

– لا أعرف .

فقال لها الشرطي مبتسما :

– هذا جواب لا يقنع أحدا فقد حدثت في مقصورتك ، أليس كذلك ؟

– بلى ، ولكنها حدثت بسرعة فلم . .

– أين تقيمان ؟

– بفندق "رذرفورد" .

– ومن أين جئت ؟

– من "سان فرانسيسكو" .

– و"طومسون" ، هل هو من "سان فرانسيسكو" أيضا ؟

– لا أعرف بلده .

انتهت المقابلة بعد أن أعلنها بعدم مبارحة المدينة ، وبعد انصرافها سأل رفيقه عما عثر عليه في ملابس "طومسون" ، فأجابه بأنه لم يجد سوى دفتر توفير وبضع فواتير من الفندق . وفحص الشرطي دفتر التوفير فلم يلبث أن قال :

– ستة آلاف دولار ! لقد أودع في 7 تشرين الأول (أكتوبر) ستة آلاف دولار ، فمن أين لمثله هذا المبلغ الضخم ؟ .

لم يسأل رجال الشرطة "نورا" بعد ذلك طوال فترة علاج "رتشارد" ، فظنت أنها نجحت في تضليلهم والتخلص منهم .

ولقد طغى على خوفها من إجراءات الشرطة التفكير في المشكلة التي تواجهها ، ولكن سرعان ما وجدت لهذه حلا؛ إذ أنها ترتبط الآن بـ "رتشارد" ارتباطا أبديا لا تنفصم عراه ، وكان اعتزامها البقاء معه وملازمته راجعا إلى حبها له من ناحية،

وإلى تلبية نداء الواجب من ناحية أخرى ، ولكنه كان عزما ثابتا لا يتزعزع .

في اليوم المحدد لرفع العصائب والضمادات عن وجهه بعد أن مضى على الحادث عدة أشهر ، حملها "فيل" إلى المستشفى في سيارته .. ولقد كان خلال تلك الفترة العصيبة خير مساعد لها ، وتجاوز في نبله وإخلاصه كل ما كانت تظن وتتوقع .

وعندما بلغا المستشفى سألها هل يبقى في انتظارها فأجابته :

- لا .. أؤثر ألا يراك وسأعود به إلى الفندق في سيارة أجرة ، ولن نلتقي ثانية .

كانت ترى أن علاقتها بـ "رتشارد" منذ اليوم يجب أن تكون خالية من كل ما يثير غيرته وشكه ، كما عاهدت نفسها أن تتوخى رضاه في كل ما تقول وتفعل .

ودعها "دينادو" حزينا آسفا ، فاعتلت درجات سلم المستشفى وكان "رتشارد" في ثياب الحمام يذرع الغرفة قلقا مضطربا ، وقد سترت العصائب وجهه كله فلم يبد منه سوى عينيه .

سألته "نورا" :

- كيف حالك اليوم ؟

أجاب :

- أشعر بشيء من القلق .

- هذا ليس بالأمر الغريب ، فلقد ظللت الأسابيع الطوال تنتظر رفع العصائب .

وأجاب في ذلك التفاؤل الصبياني الذي لم يكن يفارقه حتى في أحرج الأوقات :

- لعل ذلك نعمة من النعم، فلقد أصيب وجهي بكثير من الخروق الشديدة وشظايا الزجاج المحطم ، وإذا تغيرت قسماته تغيرا كافيا فلن يعرفني أحد ولن أضطر إلى الاستتار والفرار من الناس وربما استطعت أن أجد عملا أقوم به .

فلم تفه "نورا" بما يؤيد قوله أو ينفيه .

أقبلت الممرضة والطبيب في أثرها وأكب على العمل، فلما فرغ من ذلك انثنى

قائلا :

- رائع !

هتف "رتشارد" :

- ما رأيك يا "نورا" ؟

أجابت وهي تغالب جزعها من المنظر الكريه الذي وقع عليه بصرها :

- رائع !

ذهب "رتشارد" إلى المرآة ووقف أمامها يتأمل وجهه ، وكان دميما مروعا ..

وحاولت "نورا" أن تواسيه فقال :

- هذا ما كنت أبغي .

وما كادت تغادر الغرفة مع الطبيب لإمضاء بعض الأوراق تمهيدا لإخراجه من المستشفى حتى فتح باب الغرفة ثانية ، ونظر "رتشارد" بدون اهتمام ليرى عند الباب رجلين أحدهما أصلع كبير الأذنين جدا والثاني ممتلئ الجسم غليظ العنق .

قال الرجل البدين :

- هيا يا "طومسون" .. ارتد ثيابك .

فسأله في دهشة :

- من أنت ؟

- شرطة ، وأنت ذاهب معنا .



قال "رتشارد" :

- أظن ذلك من أجل المشاجرة ؟

فأجاب ذو الأذنين الكبيرتين :

- لا .. إنك راحل في نزهة قصيرة إلى "سان فرانسيسكو" .

وأردف الرجل البدين قائلا :

- الدكتور "رتشارد تالبوت" ، أيحمل هذا إليك معنى ؟

قال "رتشارد" :

- هل وفقتم إلى الأمر ؟ ولكني مسرور مع ذلك .

فقال الرجل البدين لصاحبه :

- مسرور ! هذه أول مرة في حياتي أشهد رجلا يسره أن يقبض عليه بتهمة القتل .

وكان هذا الاتجاه لم يطف برأس "رتشارد" أو يعلق به خياله ..

التفت إليه الرجل البدين قائلا :

- لقد وجدوا في "سان فرانسيسكو" مجموعة من البصمات تطابق بصماتك، وأنت مقبوض عليك بتهمة قتل الدكتور "رتشارد تالبوت" .

وراح الشرطيان يتبادلان نظرات الدهشة والذهول؛ إذ أبصرا المتهم يهتز اهتزازا عنيفا .

وما كان يهتز من الخوف والهلع .. بل من عاصفة من الضحك العنيف الجامح!

- 14 -

كان لهذه المحاكمة وجهان مختلفان : فإما أن يحاكم "روبرت طومسون" على قتل الدكتور "رتشارد تالبوت" وهي تهمة معقولة، وإما أن يحاكم الدكتور "تالبوت" على قتل "تالبوت" وهي تهمة لا معنى لها على الإطلاق . ولم يكن فيمن تضمهم قاعة الجلسة -- وبينهم "لويس" والدكتور "موريان" وأحد موظفي المصرف -- من يعرف الحقيقة سوى "نورا برنتيس" و "رتشارد" نفسه. ولم تدع "نورا" لأداء الشهادة ، ولم تكن تعرف حتى هذه الساعة الخطة التي عول "رتشارد" على انتهاجها .

قال القاضي :

- أنت متهم بابتزاز النقود بالتهديد من الدكتور "رتشارد تالبوت" ، وقتله

عمدا فما قولك ؟ مذنب أم غير مذنب ؟

ولكن الجواب كان يختلف عما ألفت المحاكم من إنكار التهمة بلا استثناء ، فقد وقف محامي المتهم قائلا :

- لقد أبى المتهم كل الإباء أن يتفاهم معي في تفاصيل القضية؛ ولذلك أشعر بانني عاجز عن تمثيله التمثيل الصحيح، والتمس أن تعفيني المحكمة من هذا الواجب .

وقال القاضي بعد أن صمت لحظة :

- أنكر التهمة . إن من حق المتهم أن يحافظ دائما على الحقوق المخولة له بموجب الدستور، وما دام يلوذ بالصمت ويأبى الكلام فإننا نأمر بإثبات إنكاره للتهمة وبالاستمرار في نظر القضية .

سارت القضية في مجراها فانتقل الدكتور "جويل موريان" إلى مقعد الشهود وراح يروي للمحكمة كيف أثارت تلك القصاصة من الورق ارتيابه ، وذلك التمثال المكسور . ولم يكن يعرف أن هذه القصاصة هي البقية الباقية من رسالة إلى "لوسي" وأن التمثال لم يكسره "رتشارد ، الذي ظل مطرقا برأسه إلى الأرض وقد اشتعل رأسه شيبا على أثر الحادث الأخير . ولم تدر "نورا" ما ينطوي تحت صمته المطبق من الخطط والنيات .

ثم أدلى موظف المصرف بشهادته ، وهي تؤيد الاعتقاد بأن "روبرت طومسون" قد ابتز من "تالبوت" مبلغا ضخما قبل قتله .

وتلاه الخبير الكيميائي فقرر أن تحليل فراش السيارة أثبت وجود آثار قوية لمادة الكحول ، وأن البصمات التي وجدت على زجاجة الكحول التي عثرت عليها الشرطة على مقربة من مكان الحادث تطابق بصمات "طومسون" .

وفي اليوم الثاني والأخير من أيام المحاكمة وقع حادث لم يكن يعرف خطورته سوى "نورا" و"رتشارد" ، فقد استدعيت "لوسي" كشاهدة نفي بناء على طلب الدفاع .

وقد كان من المحتمل أن تعرف الزوجة زوجها على الرغم مما نال وجهه من التشويه

والتفيير ، حتى لقد اخذت "نورا" تسال نفسها هل يختار "رتشارد" هذه الفرصة للكشف عن شخصيته وإعلان الحقيقة ؟ .

جلست الزوجة في مقعد الشهود وهي ترتدي ثياب الحداد ، واشراب عنق "نورا" إلى "رتشارد" كما اشرابت اعناق الحضور جميعا، ولكنه زاد من إطراقه بدلا من ان يرفع راسه فكادت "نورا" تصعق هولا .

إنه لا يريد ان يعرفه أحد ، ولا يريد ان يعيش !

سالها محامي الدفاع :

- الم ترى المتهم قبل ذلك .؟ فحدقت إليه طويلا ، و"نورا" ترتجف شوقا وقلقا، ولكن الزوجة حولت بصرها إلى القاضي أخيرا وهي تقول :

- لا .. لم اره قط .

وانتهت مرافعات الدفاع والاتهام وانسحب المحلفون للتداول ثم عادوا بعد قليل .

ونطق القاضي بالحكم .. وكان الإعدام .



ظلت "نورا" نهبا للخواطر العنيفة المتضاربة حتى اذن لها بزيارة "رتشارد" . وما اقعدها المحلفون عن التدخل في القضية وإماطة اللثام عن سرها ، ولكنها رات في تصرفات "رتشارد" ما أقنعها بانه ينتهج خطة أطال فيها الإمعان والتفكير ، وإن لم تعرف الغاية التي يهدف إليها فلما رأته خلف القضبان الحديدية غلبها الهم والاسى ، فلم تستطع سوى النطق باسمه وقال "رتشارد" :

- لقد توسلت إليك الا تجيئي إلى هنا ، اتريدين أن يرهقوك بالاسئلة من جديد ؟

اجابت "نورا"

- لست احفل بذلك ، وهيهات أن اتركك تستسلم على هذا النحو للخاتمة المروعة ، ويجب أن تظهرهم على الحقيقة ..

– وماذا عساي أن أفيد من وراء ذلك ؟

– حياتك .

– وماذا تكون هذه الحياة ؟ إلى أين أذهب ؟ وأي عمل أستطيع ؟ أيكون في وسعي استئناف عملي كطبيب ؟ أيمكن أن أعود إلى أسرتي ؟ أتحبين أن أفسدها وأشوهها ؟ من الخير أن ينتهي الأمر بهذه الخاتمة .

قالت "نورا" :

– أجل، فسيصفحون عنك .

– وأولادي ؟ إنهم يحتفظون لي بذكرى حسنة نقية .

وكانت "نورا" تعتمد على حبه لها في إقناعه؛ فلقد كان جزعه من لقائها أوضح دليل على أنها الصلة الوحيدة التي تصل ما بينه وبين الحياة، ولكنه يفرط الآن في هذه الصلة بحجج قوية لا تحتمل الجدل ، وليست به حاجة إلى الحديث عن حبه ، فإن موقفه الحاضر أبلغ دليل على قوة هذا الحب النفيس .

وقال :

– لقد قتلت رجلا حقا .. قتلت "رتشارد تالبوت" .

قالت والحزن يذيب فؤادها:

– لعلك لا تكلفني أن أعيش معذبة كلما ذكرت أنه كان في وسعي أن أنقذك ولم أفعل .

أجابها في حنان بالغ :



– إذا كان في وسعي أن أموت مع هذه الذكرى ففي وسعك أن تعيشي بلا ريب .

وودعته الوداع الأخير ، ثم خرجت إلى الطريق في خطى يثقلها الشجن والأسى حيث كان ينتظرها – بدون أن تدري – "ديناردو" ، ذلك الصديق الوفي النبيل .

تمت بعون الله



أجاثا كريستي

- ☐ الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.
- ☐ بيع من كتبها أكثر من 650 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.
- ☐ كاتبة روايات بوليسية، ولدت في جنوب غرب إنجلترا من أب أميركي وأم إنجليزية، لكنها تقول "إني إنجليزية". تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعاً. فرواياتها كبيرة متكاملة، فيها عشرات الشخصيات الحيّة التي يشعر بها الإنسان دائماً. لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصيّة في الرواية، كما تميّزت أيضاً بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. إنّها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمّنت أيضا أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ثمن النسخة

لبنان	3000 ل. ل.	قطر	[illegible] ريالات
سوريا	100 ل. س.	مسقط	1.5 ريال
الأردن	1.5 دينار	مصر	10 جنيها
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

